الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غارداية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

علاقة أحمد المنصور السعدي بالدولة العثمانية من 1578-1603م

مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

من إعداد الطالبتين:

- دليلة بابو
- بوفروج ياسمين

تحت إشراف الأستاذ :

جلول بوقراف

أمام اللجنة المتكونة من السادة:

الاسم واللقب	الدرجة	الجامعة	الصفة
د. دهمة بكار	أستاذ محاضر ب	جامعة غرداية	رئيسا
أ. جلول بوقراف	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د. زناتي عمر	أستاذ محاضر أ	جامعة غردابة	مناقشا

السنة الجامعية: 1441هـ-1442هـ/ 2019-2020م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غارداية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

علاقة أحمد المنصور السعدي بالدولة العثمانية من 1578-1603م

مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

من إعداد الطالبتين:

- دليلة بابو
- بوفروج ياسمين

تحت إشراف الأستاذ :

جلول بوقراف

أمام اللجنة المتكونة من السادة:

الاسم واللقب	الدرجة	الجامعة	الصفة
د. دهمة بكار	أستاذ محاضر ب	جامعة غرداية	رئيسا
أ. جلول بوقراف	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د. زناتي عمر	أستاذ محاضر أ	جامعة غردابة	مناقشا

السنة الجامعية: 1441هـ-1442هـ/ 2019-2020م

إهداء

الحمد الله الذي وفقنا لهذا، ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا.

إلى منبع العز و الفضل، إلى صاحب أكبر فضل علي، إلى الذي علمني وأدبني ووقفبجانبي وأضاء لي الدرب بحبه و ثقته، إلى من زرع المبادئ والأخلاق الحسنة،حفظه الله..

إلىأبي العزيز.

إلى من غرست فينا العطف صفحات، وصفت لنا الأمل طرقات، ومسحت منعيوننا آلام الحياة، وفي صلاتها كم أكثرت من الدعوات، حفظها الرحمان وأطال عمرها..

إلىأمي الغالية.

وإلى زوجي شريك حياتي الذي كان له العون أكبر في إنجاز هذا البحث

وإلى كل من صغيري عبد القادر وعائلة زوجي من كبيرهم إلى صغيرهم

وإلى من عشت سنوات حياتي معهم.. أخوتي

إلى أعمامي وعمتي..وأخوالي.. وخالاتي وأبنائهم وإلى كل أفراد عائلتي.

وإلى كل من أحب وإلى أصدقائي رفقاء دربي .

وإلى كل من قدم لي يد العون لإتمام هذا العمل،

وتمنى لي النجاح، وبث في نفسي روح المثابرة.

والمضي قدما في دروب الحياة، وأسعده نجاحي.

أهدي هذا العمل، وأشكر كل من قدم لي عونا وساعدني على إتمامه.

دليلة بابو

إهداء

أحمد الله عز وجل على منه وعونه لإتمام هذا البحث

والذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق آماله.

إلى من يدفعني قدما نحو الأمام لنيل مبتغى، إلى الإنسان الذي امتلك الإنسانية بكل قوة، إلى الذي سهر على تعليمي وتضحياته جسامة مترجمة في تقديمه للعلم، إلى مدرستي الأولى في الحياة.

أبي الغالي على قلبي أطال الله في عمره.

هي التي وهبتني فلذة كبدها على العطاء والحنان، إلى التي صبرت على كل شيء، التي رعتني الرعاية وكانت سندا في الشدائد، وكانت دعواتها لي بالتوفيق، تتبعتني خطوة بخطوة في عملي، إلى من ارتحت كلما تذكره ابتسامتها في وجهي نبع الحنان أمي اعز ملاك على القلب والعين جزاها الله عني خير الجزاء في الدارين.

إليهما أهدي هذا العمل الذي أدخل على قلبهما شيئا من السعادة.

إلى إخوتي وأخواتي الذين تقاسموا معي عبئ الحياة.

إلى كل من يؤمن بأن بذور نجاح التغيير هي في ذواتنا وفي أنفسنا قبل أن تكون في أشياء أخرى قال الله تعالى: " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" الآية 12 من سورة الرعد.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل.

بوفروج ياسمين

شكروعرفان

بعد إتمامنا هذا البحث لايسعنا إلا نحمد الله عز وجل ونشكره أن وفقنا لإتمام هذه المادة العلمية بعد الحمد الله تعالى كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه الذي الهمنا الطموح والصبر وسدد خطانا بان من علينا بإتمام هذه الدراسة ومن علينا بفضله ونعمة التي لا أحصيها. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وجميع الأنبياء والمرسلين أما بعد:

يطيب لنا بعد شكر الله عز وجل. أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان إلى أستاذنا **"بوقراف جلول"** لتفضله بالإشراف على هذا البحث وتوجيهاته السديدة التي كان لها أكبر الأثر في الإنجاز هذا البحث وإخراجه على أكمل وجه.

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الموصول إلى كل الأساتذة بكلية علوم اجتماعية وإنسانيةبجامعةغرداية،الذيرأخذنا منهم التواضع والأخلاق الحسنة قبل أن نأخذ منهم العلم والمعرفة والذين لم يبخلو ا علينا بالنصح والتوجيه فجزاهم الله خيرا وشكرا لكل من علمنا حرفا ولهم كلمة الشكر والعرفان على تعاونهم معنا.

قائمة المختصرات:

الكلمة المختصرة	الكلمة الأصلية
تح	تحقيق
تع	تعليق
تر	ترجمة
ب ط	بدون طبعة
ب ت	بدون تاريخ
ع	العدد
ج	الجزء
ص	الصفحة
ص ص	من الصفحة إلى الصفحة
ط	طبعة
هـ	تاريخ الهجري
م	تاريخ ميلادي
مج	مجلد

الحديث عن العلاقات المغربية العثمانية في الفترة الحديثة مجال بحث خصب للدراسات التاريخية نظرا لأهميته في ظل التواصل الحضاري بين المنطقتين حيثأن الدولة العثمانية كانت تعتبر نفسها زعيمة للعالم الإسلاميتحميه من الأخطار الأجنبية حيث استطاعت إن تبسط نفوذها على العديد من المناطق مشرقا و مغربا، لكنها عجزت عن ضم المغرب لاعتباره كيانا قائما بداته مستقلا عن الدولة العثمانية في تلك الفترة.

فعلاقة المغرب الأقصى بالدولة العثمانية تكتسي أهمية خاصة كون المغرب ظل البلد الوحيد من بلدان العالم العربي الذي أفلت من تبعية الدولة العثمانية،إذ كان يمثل مسرحا للصراع بين المسيحية المتمثلة في الدول الأوروبية من جهة، والإسلام من طرف الدولة العثمانية ورغبتها في ضمها إليها. وقد مالت العلاقات المغربية العثمانية إلى التوتر والصراع تارة في بداية الحكم السعدي وإلى السلم أواخر الحكمأحمد منصور الذهبي تارة أخرى.

دوافع اختيار الموضوع:

-يندرج موضوع العلاقات العثمانية المغربية ضمن إطار العلاقات بين المغرب الإسلامي والمشرق وخاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط فقد ارتبطت هذه العلاقات بظروف حتمت عليها أن تتأرجح تارة بالسلم وتارة بالتوتر ومن هذا المنطلق ارتأينا دراسة هذا الموضوع باسم العلاقات المغربية العثمانية في عهد أحمد المنصور الذهبي 1578-1603 وهناك دوافع أخرى جعلتنا نختار هذا الموضوع منها:

-دوافع داتية:

-اختيارنا للموضوع كان بتوجيه من أساتذتنا في القسم الذين وجهونا إلى التقرب من إحدى أهم الحقب من تاريخ المغرب الأقصى.

- رغبتنا الملحة في تسليط الضوء على بعض الجوانب الخفية من العلاقات الدبلوماسية بين البلدين والتي كانت أساس رسم العلاقات بينهما.

دوافع موضوعية:

- اعتبار الموضوع حلقة هامة تساهم في الكشف عن بعض الجوانب للدولة المغرب الأقصى في هذه الحقبة من 1578-1603 حيث تولى أحمد المنصور الذهبي الحكم وعليه فإن هذا البحث يشكل خطوة جديدة يكشف عن طبيعة العلاقات بين المغرب والدولة العثمانية في عهده.

– إن دراسة العلاقات بين المغرب الأقصى والدولة العثمانية هو أيضا دراسة لتاريخ الدبلوماسي للجزائر مع المغرب نظرا للارتباط الجزائر كإيالة عثمانية في المنطقة.

الإطار الزماني والمكاني:

الفترة الزمنية المختارة لموضوعنا حددت من فترة حكم المولى أحمد المنصور 1578م إلى غاية وفاته عام 1603م .

الإشكالية المطروحة:

تتمثل الإشكالية الجوهرية التي يقوم عليها هذا البحث في ما يلي:

ماطبيعة العلاقات بين المغرب الأقصى والدولة العثمانية في عهد المنصور الذهبي؟ وماهي العوامل المتحكمة في هذه العلاقات؟وما انعكاساتها على الطرفين ؟

ومن هذه الإشكالية نتطرق إلى تساؤلات فرعية:

كيف كانت العلاقات المغربية العثمانية مع بداية الحكم السعدي؟وماأثر معركة واد المخازن على علاقتهما ؟ وكيف كانت سياسة أحمد المنصور مع الدولة العثمانية؟

الخطة المعتمدة في الدراسة:

وللإجابة على الإشكالية المطروحة وضعنا خطة عمل سرنا عليها ابتدأناها بمقدمة وأنهيناها بخاتمة وبينهما أربعة فصول،**الفصل التمهيدي** عنوناه بعلاقة محمد الشيخ مع الدولة العثمانية 954_964هـ /1550_1557م وقسمناه إلى ثلاثة مباحث حيث تناولنا في المبحث الأول: بيعة محمد الشيخ السعدي، وفي المبحث الثاني: سياسة محمد الشيخ السعدي،وفي المبحث الثالث: علاقة محمد الشيخ وأبنائه مع الدولة العثمانية، أما **الفصل الأول**: عنوناه بمعركة واد المخازن وقسمناه إلى ثلاثة مباحث حيث تناولنا في المبحث الأول: أسباب معركة واد المخازن، وفي المبحث الثاني:ظروف المعركة والتي شملت ظروف كل من المغرب والبرتغال والدولة العثمانية قبل معركة واد المخازن، وفي المبحث الثالث: نتائج المعركة، أما **الفصل الثاني**: عنوناه بتطور الدولة السعدية في ظل حكم المولى أحمد المنصور الذهبي وقسمناه إلى ثلاثة مباحث، حيث تناولنا في المبحث الأول: شخصية أحمد المنصور الذهبي،وفي المبحث الثاني: تنظيمات وإنجازات أحمد المنصور الذهبي،وفي المبحث الثالث:غزو أحمد المنصور للسودان الغربي، وجاء في **الفصل الثالث** والأخير: علاقة الدولة العثمانية وإيالة الجزائر مع أحمد المنصور 986_1012هـ/ 1578_1603م ، وقسمناه إلى ثلاثة مباحث حيث تناولنا

في المبحث الأول: محاولة العثمانيين احتواء المغرب، وفي المبحث الثاني: أسباب فشل حملة العلج علي، وفي المبحث الثالث:علاقة أحمد المنصور بإيالة الجزائر.

المنهج المعتمد في الدراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة على منهج التاريخي الوصفي ، فاستعنت به لتتبع وقائع هذا الحدث التاريخي والأوضاع التي سبقته ودراسة آثاره المختلفة لأتمكن من الإجابة عن الإشكالية التي طرحتها والتساؤلات التي أصبو إليه.

الدراسات السابقة:

لاشك إن دراسة العلاقات السياسية والدبلوماسية للسلطان احمد المنصور السعدي بالدولة العثمانية قد استرعى اهتمام الكثير من المؤرخين والدارسين ، وقد الفت في هذا المجال الكثير من الكتب والموسوعات التي تناولت تاريخ المغرب السياسي والدبلوماسي ، اذكر منها على سبيل المثال :موسوعة الأستاذ عبد الهادي التازي في التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ،وهو مجهود جبار جاء في عشرة أجزاء ،تناول فيه علاقات المغرب الدبلوماسية منذ القديم إلى اليوم ، وافرد المجلدين الثامن للفترة السعدية ، والمجلد التاسع والعاشر للفترة العلوية .

ثم دراسة الأستاذ عمار بن خروف في كتابه : العلاقات السياسية بين المغرب والجزائر في القرن السادس عشر ،وقد ركز في باب كامل على علاقة احمد المنصور السياسية والدبلوماسية مع معاصريه.

نقد المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

المصادر:

استقينا هذه الدراسة من جملة من المصادر الأولية والثانوية يأتي في مقدمتها حسن الوزان المعروف لدى الغربيين بليون إفريقي، في كتابه **وصف إفريقيا** الذي ألفه بالإيطالية وترجمه إلى العربية محمد حجي وآخرون، ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة في مطلع القرن السادس عشر ميلادي الموافق للقرن العاشر هجري،وهو يؤرخ لكل بلدان المغرب الإسلاميكما يتطرق لكل المناطق التي زارها،والكتاب فيه جزئيين الأول والثاني استفدنا منهما في التعريف بالمدن المغربية.

محمد الصغير الأفراني، صاحب كتاب **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** ، وهو من المصادر المهمة التي تؤرخ للدولة السعدية، اعتمدنا عليه في الفصل الثاني، تحت عنوان: تطور الدولة السعدية في ظل حكم المولى أحمد المنصور الذهبي حول بيعة السلطان وتوليه الخلافة .

تاريخ الدولة السعدية التكدمارتية ، المؤرخ المجهول من تحقيق بن حادة عبد الرحيم يعتبر من مصادر التاريخ في العهد السعدي،اعتمدنا عليه في الفصل الأول تحت عنوان: معركة واد المخازن، حول ظروف المغرب قبل المعركة.

المراجع:

كما استفدنا من مصادر ثانوية عديدة أهمها: عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية لمختلف المظاهر الحضارية، واعتمدنا عليه في الفصل الأول والثاني حول ظروف المغرب قبل المعركة و بيعة المنصور وغزوه للسودان الغربي.

-كتاب **تاريخ المغرب العربي الحديث** ، محمود علي عامر ومحمد خير فارس، فهو من المراجع التي تتطرق إلى تاريخ المغرب الأقصى في الفترة الحديثة، اعتمدنا عليه في الفصل الأول والثاني، حول ظروف البرتغال قبل معركة واد المخازن وغزو أحمد المنصور للسودان الغربي والبعض من إنجازاته.

- كتاب **الاستقصارالأخبار دول المغرب الأقصى للدولة السعدية** ، الجزء الخامس ويبقى هذا الكتاب هو الأخير من المراجع المهمة بحيث لايمكن لدارس أحوال الدولة السعدية سياسيا استغناء عنه من تأليف الناصري، وقد اعتمدنا عليه في الفصل الأول والثاني والثالث حول إنجازات أحمد المنصور وعلاقته مع الدولة العثمانية.

- كتاب **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى في القرن العاشر الهجري** /السادس عشر ميلادي، لعمار بن خروف وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يدرس علاقات الجزائر السياسية مع المغرب الأقصى على امتداد القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي، وهذه الفترة الزمنية تعتبر أهم القرون لما تميزت به العلاقات المتشابكة بين البلدين وتدخل القوى الخارجية فيها، كما أنه تضمن معلومات وافية عن طبيعة العلاقات بين المغرب الأقصى والبرتغال وإسبانيا خلال القرن 16م /10هـ ولذلك استفدت منه بشكل كبير لما تضمنه من معلومات قيمة منتقاة من وثائق أرشيفية سواء إسبانيةأو عربية.

الصعوبات:

على الرغم من تنوع المصادر والمراجع حول هذا الموضوع، إلا أنها تتناول نفس الأفكار وهذا إلى القيام إلى انتقاء المعلومات من المصادر والمراجع التي أتيحت لنا وقد وجدناها تتشابه كثيرا في الأحداث والوقائع وربما يعود هذا إلى الكتاب الذين كانوا في ذلك الوقت، لأن أغلبهم كانوا في قصر السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي وهذا يؤدي إلى نوع من الميول له.

صعوبة اللغة التراثية وتحليلها تحليلا عقلانيا واختيار الأنسب منها لمثل هذه الدراسة.

ندرة المطبوعات الورقية بسبب غلق المكتبات ولهذا لجأنا إلى المصادر والمراجع الإلكترونية.

قلة المادة العلمية المتخصصة في علاقة المغرب الأقصى مع الدولة العثمانية في عهد أحمد المنصور.

الفصل التمهيدي: علاقة محمد الشيخ بالدولة العثمانية.

المبحث الأول: بيعة محمد الشيخ وتوليه الخلافة.

المبحث الثاني: الدولة السعدية في ظل حكم محمد الشيخ.

المبحث الثالث:علاقة محمد الشيخ وأبنائه مع الدولة العثمانية.

المبحث الأول: بيعة محمد الشيخ وتوليه الخلافة.

أولا:المولد والنشأة.

ولد محمد الشيخ عام 896هـ /1488م، نشأ في العفاف والصيانة ، من شيوخه علي بن عثمان الشاملي المؤرخ، علي بن هارون أستاذه في الأدب، وكان محمد المهدي يحفظ القرآن وديوان المتنبي كما كان ينقض فتاوى بعض العلماء، وهذا دليل على الاطلاع الغزير والمقدرة على الاستنباط، وكان كثير البر بوالديه كما كان له عدة أولا د أشهرهم الثلاثة،الذين تعاقبوا على الملك؛ وهم عبدالله الغالب[1] وعبد المالك[2] المعتصم وأحمد المنصور [3] بالإضافة إلى ابنه البكر محمد الحران الذي تولى القيادة العسكرية في عهده[4].

كان محمد الشيخ يمتاز على أخيه أحمد الأعرج بصفات الذكاء [5]، والفطنة، واليقظة،وطيبة الخاطر لهذا أحبه الناس،وكان يقدم جيشه وقواته دائما في المعارك[6].

---

[1]-**عبد الله غالب**: هو محمد عبد الله غالب بالله ،كان ذا سياسة وخبرة بأحوال الملك وكان ولي عهد أبيه ولما توفي أبيه وهو بفاس بايعه ولم يختلف عن بيعته منهم أحد، ينظر: أبو العباس أحمد، بن خالد الناصري، الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى الدولة السعدية،ج 5، تح جعفر الناصري،محمد الناصري، دار الكتاب، دار البيضاء، المغرب، بط، 1418 هـ/ 1997م، ص240.

[2]- **عبد الملك**: هو رابع أولاد السلطان السعدي محمد الشيخ المهذي، وهو أبو مروان عبد الملك محمد الشيخ المهذي، تمت بيعته بفاس أرسى قواعد الدولة السعدية بعزيمة ولقب بالغازي، كما يلقب بالمعتصم بالله قام بتوطيد أركان الدولة، ومقاومة خصومها الداخلين وأعدائها الخارجين، توفي قبل انتهاء معركة واد المخازن. انظر: عبد الله كنون : موسوعة المشاهير، ط 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1994، ص5.

[3]-**أحمد المنصور**: هو المنصور بن محمد المهدي القائم بأمر الله أمه سعودة بنت الشيخ أحمد الوزكيتي ولد عام 1549م، ينظر: فارس عبد العزيز الفشتالي : مناهل الصفا في ماثرموالينا الشرفاء،در وتح عبد الكريم كريم : مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط،المغرب، دط، دت، ص25.

[4]-**ابراهيم حركات**: المغرب عبر التاريخ (منذ بداية إلى النهاية السعديين)، ج 2 ، دار النشر الحديثة الدار البيضاء، المغرب ص19.

[5]- انظرالملحق 01، ص88.

[6]-مارمولكربخال: وصف إفريقيا ج1 تر محمد حاجي، مكتبة المعارف الرباط،المغرب،بط،1984، ص460.

ثانيا:توليه الخلافة.

كان محمد الشيخ واليا على السوس في عهد أبيه؛ وبقي كذلك هو وأخوه أبو العباس الأعرج، وكانت القبائل السوس تكن له الولاء والاحترام وكان أخوه الأكبر يستشيره في أمور الدولة فكانت كلمتهما واحدة إلىأن فسدت علاقتهما واقتضى الحال إلى القتال بينهما[1].

وبعدما تخلص السلطان محمد الشيخ من أخيه أحمد الأعرج واستقلاله بالبلاد أقام بلاد وجاهد العدو البرتغالي والإسباني وفي هذه الفترة كانت مراكش قد توقفت عن بيعته واستمر الحال إلى سنة إحدى وخمسين وتسعمائة وفي هذه السنة بايعوه أهلها فقدمها واستولى عليها.[2]

وبعدما تم بيعة محمد الشيخ سنة 951هـ من طرف أهل مراكش [3]والسوس [4]، وجها نظرته لفتح فاس وفي سنة سبعة وخمسين وتسعمائة ملك محمد الشيخ فاس فبايعه قبائل المغرب وأمنهم واستخدم أهلها في الجيش [5].

ثالثا:موقف محمد الشيخ على يد العثمانيين.

أرسل السلطان العثماني رسولا إلى محمد الشيخ يهنئه بالملك، وطلب منه الدعاء له على منابر المغرب فلما وصل الرسول العثماني إلى المراكش، أنزله السلطان المغربي على كبير الأتراك وكان هذا الأخير من الأتراك الذين انظموا إليه بعد سقوط فاس بيده، بعد القضاء على الدولة الوطاسية فجعله من جند[6]هـ.

---

[1]–شوقي عطاالله جمل : المغرب الكبير في العصر الحديث ليبيا تونس المغرب، مكتبة انجلو المصرية، القاهرة،ط 1، 1977 ص170.

[2]–أبو العباس أحمدبن خالد الناصري:مرجع سابق، ص22.

[3]–مراكش: تقع في سهل واسع على مسافة 14ميلا من المحيط الأطلسي، وقد شيدت من قبل يوسف بن تاشفين، انظر: حسن الوزان الفاسي وصف إفريقيا،تر محمد الحاجي الأخضر،ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ص138.

[4]– انظر ملحق 02، ص89.

[5]–أبو قاسم الزياني: البستان الضريف في دولة مولاي الشريف (من النشأة إلى نهاية السعديين)، محمد عبد الله قاسم القسم الأول مركز الدراسات والبحوث العلوية الرصاني إقليم الرشدية تط2013، ص 35.

[6]– أنظر ملحق 03، ص 90.

فلما اطلع على المرسال وجد به عرض من السلطان العثماني ي أمره بالدعاء له، وصك العملة باسمه فانزعج وعاتب الرسول فخرج الرسول العثماني مدعورا وركب البحر إلى، فلما بلغ السلطان العثماني ماحدث حاول السلطان أن يرسل حملة إلى المغرب، لكن الصدر الأعظم منعه خوفا من أن يستغل الإسبان هذه الفرصة[1].

قام السلطان العثماني بإرسال اثني عشرة رجلا، و أعطى لهم مالا واتصلوا سرا بصالح الكاهية العسكر الكبير لشيخ السعدي ووعدوه بالمال ثم وفدوا إلى الجزائر واشتروا مايلزمهم، في سفرهم إلى مراكش حتى دخلوا لسلطان محمد الشيخ في فاس،و أوهموه بأنهم فرو من جند الجزائر فضمهم إلى جنده وحرسه الخاص من الأتراك ومكتو فترة من الزمن، فلما خرج إلى مكان يسمى اكلكال [2]في تاوداتنت[3].

ولما خرج محمد الشيخ من خيمته، اصطدم بحبال الخيم فوقع على الأرض ف أسرع صالح كاهية بقطع عنقه بالشاقور[4].

وفصل رأسه عن جسده ووضعه في كيس واستطاع صالح كاهية ومن معه بلوغ الجزائر،وركبو ا البحر إلى أن وصلوا إلى السلطان العثماني وسلموه رأس محمد الشيخ فأمر بتعليقه على أبواب القلعة وكان يوم 29ذي الحجة 964هـ الموافق إلى 23 أكتوبر 1557م.[5]

---

[1]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: مرجع سابق، ص3.

[2]- علي كامل حمزة سرحان: العلاقات الخارجية لدولة السعدية خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي (1549م-1603م)، دراسات تاريخية، جامعة فران التقنية، المعهد التقني، بابل، 2017، ص90.

[3]- انظر ملحق 04، ص 91.

[4]- **اروادانت**: تقع جنوب مراكش بالقرب من ساحل المحيط الأطلسي شرق أغادير الحالية، وكانت الواحد حاضرة سوس لبعض الوقت في القرن 7هـ/13م دخلت تحت سيطرت المدرين ثم الادارسة، ينظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد عرباوي، قاهرة، 1963، ص447.

[5]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: مرجع سابق، ص35.

المبحث الثاني:الدولة السعدية في ظل حكم محمد الشيخ.

أولا:تنظيم الدولة.

عمل محمد الشيخ على إكثار الجيش وتسليحه من أجل توطيد حكمه ومواجهة التمردات والأخطار الخارجية وحماية المغرب، وعمل على الاهتمام بالتجارة الخارجية فنشطها،و أعاد نشاط الاقتصاد للجنوب المغربي الذي كان له تأثير كبير في الغزو البرتغالي [1].

اهتم محمد الشيخ السعدي بالتجارة فنشطها عبر خطوات منها؛ اهتمام بزراعة القصب السكري التي من خلالها أوجد مدخولا هاما لدولة ونظم الضرائب لضمان المس اواة بين الأهالي فألغى الإعفاءات الكثيرة التي كانت تتمتع بها فئات من المجتمع، وفرض الضريبة على الأراضي المنتجة والسهول والجبال [2].

واختار مراكش مملكة من مدينة فاس [3]،هذه المدينة التي لم يشعر فيها بالاطمئنان ليس خوفا من أهلها الذين ظلت قلوبهم مع الوطاسين، ولكن أيضا مع جيرانه الأتراك العثماني ين في الجزائر، كان معظم الجهاز الحكومي لمحمد الشيخ من أهل الجنوب، حيث جعل القضاء من أهل سوس[4]وقسم مقاطعات المغربية والمدن الرئيسية على أولاده فكانت مدينة فاس تحت حكمه ومدن سلجماسة ومكناسة تحت حكم أولاده الآخرين[5].

ثانيا: مواجهة التمردات.

---

[1]- عمار بن خروف : العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري والسادس عشر ميلادي، ج 1، دط 2006، ص ص60 ،61.

[2]- شوقي عطا الله جمل: مرجع سابق، ص171.

[3]- **فاس:** هي مدينة تبدأ من نهر أم الربيع غربا لتنتهي بملوية شرقا في شمال يحدها قسم من البحر المحيط، وسائرها بالبحر المتوسط وتنقسم هذه المملكة إلى سبع أقاليم، انظر: حسن الوزان بن محمد الوزان الفاسي :مصدرسابق، ص193.

[4]- عمار بن خروف: مرجع سابق، ص61.

[5]- دي طوريس: تاريخ الشرفاء، تر محمد الحاجي وآخرون، المكتبة كلية الأدب، القنيطرة، دط،دت، ص184.

عمل السلطان محمد الشيخ على فرض الرقابة المستمرة على المرابطين،و إخضاع الزوايا و أمر أيضا بقتل المعارضين لسياسة الضريبية كأرباب الزوايا الأطلس الكبير وغيرهم، جميع الامتيازات التي كانت تمنح لهم كإعفائهم من أداء الضريبة[1].

ولكن هذه القرارات كانت نقمة عليه وهذا مانلاحظه عن بعد عودة أبي حسون الوطاسي[2] إلى حكم فاس وانسحاب السلطان محمد الشيخ منها بدعم الأتراك لأبي حسون، واستغل السكان هذه الظروف وأعلنوا الولاء والطاعة للوطاسين[3].

اتسم موقف السلطان محمد الشيخ بالشدة والعزم اتجاه القوى الدينية، وكان كذلك على القوى القبلية كقبائل المغرب مملكة فاس وغيرها التي تخلت عنه في معركة كدية قرب فاس التي خاضها ضد حملة صالح رايس وأبي حسون[4].

كان محمد الشيخ يقوم بقتال القبائل من جهة إلى أخرى، سواء لتحقيق الأمن وضمان شوكته وسيادته لتلك القبائل والاستفادة منها[5].

ثالثا: توسع السلطان محمد الشيخ.

دخل محمد الشيخ إلى فاس 1549 حيث عرفت الدولة السعدية تطورات هامة [6]،حيث يقول كربخال...« حمل أولاده مشعل الجهاد والهيمنة تتأرجح في صمودهم فكانت كلماتهم نافذة ودعوتهم مسموعة واعرب لهم الناس الولاء والطاعة ولما تعودو ا في تسليمهم الزكا ة والأعشار ..." مال إليهم السكان والقبائل العربية وأهل الحواضر » [7].

---

[1]- عمار بن خروف: مرجع سابق، ص69.

[2]- **أبو حسون الوطاسي**: هو الحسن علي بن محمد الشيخ ابن أبي زكرياء يحي بن زيان الوطاسي ويعرف بابي حسون البادسي بويع بفاس لما قبض عليه ابن أخيه أحمد بن محمد البرتغالي وخلعه،انظر:أبو العباس أحمد بن خالد النصري، مرجع سابق،ج4، ص119.

[3]- أبو حسون الوطاسي: المرجع نفسه، ص70.

[4]- فارس عبد العزيز الفشتالي: مصدر سابق، ص109.

[5]- عمار بن خروف: مرجع سابق، ص85.

[6] عبد الكريم كريم : المغرب في عهد الدولة السعدية، دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، جمعية مؤرخين المغاربة ، الرباط، ط3 ،2006، ص51.

[7]- مارمول كربخال: فريقيا، ج1، تر محمد الحاجي، مكتبة المعارف، الرباط،دط، 1984، ص454.

تولى محمد الشيخ قيادة الرما ة وأخوه الأعرج قيادة المشاة فقام على الحرص على منطق ة تارودانت حصنها، و أرسل جيوشها إلى نيفيلانت وقد أمر جنوده بقتل كل من ير فض الولاء له وتوجه أيضا إلى المستعمرات البرتغالية وحاصر أكادير أياما حتى استلمت حاميتها وهكذا حقق نصرا عليهم [1].

وبعد نجاحه على البرتغالين، لم يرسل لأخيهالأعرج سوى بعض الأسرى بينما احتفظ بالعدد الكثير منهم واستفاد منهم في صناعة الأسلحة ، لكن أخاه الأعرج لم يتفق معه لأنه وعده بخمس الغنائم[2].

وفي سنة 1545 استأنف محمد الشيخ توسعاته زحف على الأقاليم تادلة وحاصر قلعة قشتالة عن طيرق مراكش وفاس واستولى عليهم ، ونشبت معركة مع الوطاسين بقيادة أبي حسون الوطاسي[3]من خلال هذه الأحداث برزت شخصية أبو حسون.

لقد عمل محمد الشيخ و أخوه الأعرج على توسع بالمغرب الأقصى ووحد وا منطقة الجنوب، وحدث معارك بينهم وبين الوطاسين كما واجهوا لبرتغالين ونجحو ا في تحرير الأراضي المغتصبة منهم[4].

[1]-دي طوريس: مصدر سابق، ص64.

[2]مارمول كربخال: مصدر سابق، ص460.

[3] نفسه، ص461.

[4]دي طوريس: مصدر سابق، ص163.

المبحث الثالث:علاقة محمد الشيخ وأبنائه مع الدولة العثمانية.

أولا:علاقة محمد الشيخ مع الدولة العثمانية وإيالة الجزائر.

علاقته مع الدولة العثمانية:

تزامن استقرار العثمانيين في شمال إفريقيا وظهور الشرفاء السعديين كسلطة جديدة في المغرب أدى إلى توتر العلاقات بينهما،كان هدف الباب العالي هو الوصول إلى المغرب وبالتحديد لمنطقة التوسع العثماني لتوحيد الأمة الإسلامية وتثبيت الخلافة، وهو ماكانت عليه الدول الإسلامية من قبل وخصوصا أن العثمانيين يعتبرون أنفسهم ورثة للخلافة الإسلامية، أما السعديين فلأمر يختلف فقد اعتادوا منذ القرن الثاني هجري أن يسيروا أمورهم بنفسهم، فإن صعوبة تأسيس جعلت السعديين الأوائل يتعاملون مع الأتراك بنوع من القسوة أما العثمانيون فيرون في السعديين [1]أنهم نواب عنهم وأن محمد الشريخ في نظرهم حاكما لولاية فاس [2].

كانت الدولة العثمانية تراقب كل مايجري في المغرب السعدي وتتدخل كل ما سمحت الفرصة لها [3]ولكن محمد الشيخ لم يعترف بالتفوق السياسي والعسكري للباب العالي،ولكن السلطان العثماني لم يكن له أدنى شك في أحقيته بالخلافة للمسلمين وذلك من خلال المراسلات التي بعتها الباب العالي لمحمد الشيخ، كان يذكر اسمه وي أمره بصك العملة باسم الباب العالي واعترافه بالدولة وهذا الاعتراف يحفظ مظهر الوحدة الخارجية للبلاد الإسلامية ويعترف بالخلافة الإسلامية في إسطنبول[4].

أما محمد الشيخ فقد كان يرى هذا مساس بسيادته وقيادته للأمة المغربية التي بايعته[5].

كان على السعديين أن يختاروا بين الموقفين إما العودة إلى العلاقات ومعاهدات والتحالف مع أعداء الدين البرتغال والإسبان وتغليب الوحدة الإسلامية ودخول في صف العثمانيين،وكانت

---

[1]– **السعديين**: ينتمون إلى أسرة سعدية عربية كما هو مؤكد لدى من أرخ لهم، وانتقل أوائلهم من ينبع بالحجاز إلى درعة بالمغرب واستوطنوا في تكدمارت في المئة السادسة الهجرية. ينظر:عمار بن خروف، مرجع سابق، ص50.

[2]– خالد فؤاد طحطح: (العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن 16)، المجلة كان التاريخية. عدد14 سبتمبر،2011.

[3]–فهد سويكت :(موقف الإشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية)، مجلة جامعة الملك سعود ، الرياض، 2006 عدد19،ص185.

[4]– محمد العربي الزبيري: مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، دارا لمعارف، مصر القاهرة، ص52.

[5]– دي طوريس: مصدر سابق ، ص177.

مظاهر العداوة بين الطرفين السعدي والعثماني حول مسالة الخلافة الإسلامية وبذلك تتبنى مرحلة الصراع العثماني السعدي[1].

اهتم السلطان العثماني سليمان القانوني بما يجري على الحدود الإمبراطورية من الغرب،فأرسل خطابا إلى السلطان المغربي وقد كثر ت الآراء التي من ش أنها استقبال محمد الشيخ لرسول العثماني وبذكر عزيز سامح التران المبعوث الذي أرسل إلى المغرب دخل دون موافقة محمد الشيخ هذا ماغضب السلطان،وأيضا مضمون الرسالة التي وصلته من الباب العالي ومخاطبته بشيخ العرب [2].

أما المؤرخ محمد الغربي فيذكر أنه عندما وصل السفير تأخر محمد الشيخ في استقباله ثم أذن له وأبقاه واقفا وكان قوله عن السلطان العثماني تحقير وتحدي له:سلم على أمير القوارب والحواتة وقل لهم أن سلطان المغرب لابد أن ينازعك على محمل مصر ويكون قتاله معك و إنشاء الله يأتيك إلى مصر وسلام[3].

إن الرسالة التي بعتها الباب العالي إلى السلطان المغربي عبارة عن أوامر واعتبر محمد الشيخ خادما من خدامه و أن المغرب ولاية عثمانية ومحمد الشيخ حاكما فيها، وه كذا دخل محمد الشيخ في صراع مسلح ضد الأتراك وذلك مند أن أصبح السعديين حدود مجاورة للأتراك في الجزائر 1549م، ويرجع ذلك إلى رفض محمد الشيخ بالسلطان العثماني وقيامه بمواجهة الأتراك في تلمسان [4].

انتصر محمد الشيخ على الأتراك في وجدة ولاحقهم وأخرجهم من تلمسان عام 1551م، وتوغل حتى وصل إلى مستغانم ووضع حاميته لكن لم يلبث طويلا حتى فقدها عام 1552م إثر هجمات الأتراك عليها، حاول العثمانيين إقناع محمد الشيخ بالاعتراف بالتبعية لهم، و أرسلوا إليه سفيرا يعدونة بالمساعدة بمحاربة المسحيين شرط أن يعترف بالسيادة العثمانية[5].

---

[1]– عزيز سامح التر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا، نتر علي عامر، دار النهضة العربية، ط1، بت، بيروت،1989، 177.

[2]– محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان،ج1، مؤسسة الخليج لطباعة، دط ،دت، ص92.

[3]–فارس عبد العزيز الفشتالي : مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفاء،دروتح عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الشؤون والأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط،دط، دت، ص30.

[4]– دي طوريس: مصدر سابق، ص168-172.

[5]– إبراهيم حركات: مرجع سابق، ص282.

ولما فشلت جميع المحاولات الدبلوماسية التي قام بها الأتراك لدى محمد الشيخ في الدخول في طاعتهم واتضح الأمر للأتراك مع اتحاد محمد الشيخ مع البرتغالي ين ضدهم جعلهم يفكرون في غزو المغرب واغتيال سلطان المغرب[1].

أ-علاقة محمد الشيخ مع إيالة الجزائر.

-حملة العلج علي على المغرب.

إن استيلاء محمد الشيخ على فاس 956هـ وقبضته على بني وطاس وفرار أبي حسون إلى الجزائر وطلبه المساعدة لاسترجاع حكمه بفاس، ووعده لصالح رايس بأن يعطي الجنود الأتراك أجرا يوميا كما وعده بالتنازل له عن النفائس والكنوز التي توجد بقصور فاس بعدما يسترجع العرش[2].

خرج صالح رايس على رأس قواته المتألفة من أربعة آلاف تركي مجهز بعدد حربية وباثني عشر مدفعا ومن جهة أخرى جهز محمد الشيخ جيشا وخرج من فاس والتقى الجمعان في تازة،فكان الانتصار للجزائريين وأبو حسون الوطاسي وكان الانتصار كبير[3].

بعد نجاح أبو حسون بمساعدة الأتراك بعد معارك عديدة من الدخول إلى فاس عام 1553 وفر محمد الشيخ إلى مراكش وطلب المساعدة من قبائل سوس لقتال أبو حسون [4].

بعدما تخلى أبو حسون على الكنوز محمد الشيخ للعثماني ين وعن ميناء بنو دوفليز الذي عين يحي صالح حاكما عليه [5].

وعلى الرغم من انهزام محمد الشيخ وخروجه من فاس إلا أنه أعاد مواجهة أبوحسونالوطاسي[6].

---

[1]- علي التمكروتي: النفحة المسكية في السفارة التركية، تق وتح عبد اللطيف الشادلي، الملكية الرباط، دط، 135،2002.

[2]- مارمول كربخال: مصدر سابق،ج2، ص ص482، 483.

[3]- صالح عقاد: المغرب العربي (دراسة في تاريخه الحديث وأحواله المعاصرة)، مكتبة انجلو المصرية،القاهرة، دط،دت، ص176.

[4]- محمود علي عامر محمد خير فارس : تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى ليبية) منذ بداية القرن 16 حتى 1830، جمعبية التعايش لطباعة، دمشق، دط، دت، ص42.

[5]-أحمد توفيق المدني: حرب ثلاث مئة سنة بين الجزائر واسبانيا، شركة الوطنية لنشر والتوزيع،دط، دت، ص ص 343- 344.

[6]- مؤلف مجهول : تاريخ الدولة السعدية التكدمارتية، تح عبد الرحيم بن حادة، دار النميل لطباعة والنشر، مراكش،ط 1، 1994، ص ص20-21.

وتقابلا الجيشان وقام بينهما قتال عظيم قتل فيه أبو حسون الوطاسي وأعاد محمد الشيخ حكم فاس له[1].

-حملة محمد الشيخ على تلمسان:

تمكن محمد الشيخ من احتلال تلمسان بسبب اضطرابات أمور العثمانيين في مدينة الجزائر من عدة شهور احتل تلمسان بكل سهولة، لأن الحاميتها كانت صغيرة وهذا م ا أ دى بها إلى الانسحاب إلى الحصن انتصارا للمدفعيات فلم تستطع اقتحام الحصن، ف استمرت تحاصر الحصن لكن دون جدوى إلى أن عين حسن بن خير الدين باشا على ر أس إيالة الجزائر، وكان يهدف لطرد السعديين من تلمسان وفك الحصار على حاميتها والتخلص من محمد الشيخ[2].

بعد وصول حسن باشا إلى الجزائر جهز حملة تكون من ستة آلاف جندي ، ذهب بهم برا وأرسل المدفعيات بحرا مع ثلاث آلاف جندي على متن السفن وفي طريقه لمستغانم التحق به حوالي ستة عشر الف من المشاة والخيالة، لكن قبل وصو لحسن باشا إلى تلمسان غادر محمد الشيخ المدينة خوفا من الهزيمة[3].

وهكذا تمإرسال اثنى عشر رجل من طرف حاكم الجزائر لاغتيال محمد الشيخ بقيادة صالح كاهية فتوجهوا إلى مراكش متظاهرين أنهم فروا من سلطانهم ورغبو ا في خدمة محمد الشيخ، فنقبلهم الملك السعدي ظنا منه أنهم سيساعدونه في احتلال الجزائر، واستمر الحال إلى أن سمحت لهم الفرصة بقتله وقطعوا رأسه يوم 29 ذي الحجة 964هـ الوافق لأكتوبر 1557م[4].

إن العلاقات العثمانية السعدية فترة حكم محمد الشيخ عرفت نوعا من العدوانية والصراع بين الطرفين وذلك بعد سنة1549.

[1]- عزيز سامح التر: مرجع سابق،ص ص 20-21.

[2]- صالح عقاد: مرجع سابق،ص126.

[3]-عمار بن خروف: مرجع سابق، ص 148.

[4]- عزيز سامح التر: مرجع سابق، ص102.

ثانيا: علاقة الدولة العثمانية مع عبد الله الغالب 1557-1573.

بدأ عبد الله غالب بالانتقام من الأتراك العثمان يين، الذين قتلو ا والده فحاصرهم في قلعة تارودانت[1]، إلى إن تمكن من قتلهم جميعا، إلا بعضا منهم تمكنوا من الفرار منه برأس والده، وإيصاله إلى الجزائر ثم إسطنبول[2]، بعدها تولى الخلافة بعد أبيه حيث حدث صراع بينه وبين الإخوة فهرب الأمير عبد الملك إلى الجزائر، ثم إلى إسطنبول راجيا السلطان العثماني على مساعدته في استعادة عرشه[3].

من هنا نرى إن علاقة عبد الله غالب والأتراك لم تكن جيدة وذلك بسبب مقتل والده على أيديهم وهذا ما يؤذي إلى اصطدام بينهما.

-حملة حسن بن خير الدين على المغرب سنة 1558.

هدف هذه الحملة التي قام بها حسن بن خير الذين هي من أجل فك الحصار على الأتراك المحاصرين في تارودانت،لكن عبد الله غالب تمكن من القضاء عليهم كما ذكرنا سابقا وعندما علم بالخبر جهز جيش[4]،بينما تشكلت قوة الحملة من عدد تراوح بين أربعة وتسعة آلاف تركي،وقعت المعركة قرب واد اللبن عام 1558، والتي انه زم فيها حسن بن خير الدين،لأن قوته كانت أكثرها مشاة، وقوات السعديين تتألف أكثر من الخيالة[5].

بعد هذه الأحداث حاول السلطان العثماني في تلطيف الجو وتسوية النزاعات بين إيالة الجزائر والسلطان السعدي فتم استقبال الرسول العثماني وتفقا على ذلك، ومنذ سنة 1560م هدأت حدة الصراع بين العثمانيين والسعديين، غير إن قتل السلطان السعدي لأخيه عبد المؤمن في تلمسان، وثر

---

[1]- دي طوريس: مرجع سابق، ص397.

[2]-الأفراني محمد بن عبد الله الصغير : نزهة الحادي في اخبار وملوك القرن الحادي، تح هوداس، مطبعة انجلي، باريس، 1888 ص43.

[3]-Chantal de laveronne، relation entre le Maroc et la Turquiedans la secondemoitie du 16 e siècle et le début du17 e siècle(1554-1616)،revue de l occident musulman et de la méditerranée ،1973 ،n=15-16. P392.

[4]- عمار بن خروف: مرجع سابق، ص176.

[5]-المرجع نفسه: ص177.

العلاقات من جديد، فعزم العلج علي[1]، على إعداد حملة على المغرب ليبانت[2]، وهكذا بقي الطرفان على حذر حتى موت السلطان عبد الله غالب[3].

ثالثا:العلاقات المغربية العثمانية في عهد المتوكل وعبد الملك (1573-1578).

لما توفي السلطان عبد الله غالب سنة 1573م تولى العرش مكانه ابنه محمد المتوكل[4]الذي كان ولي عهد أبيه حيث تمت البيعة له.

فقد تابع محمد المتوكل خطة أبيه في التقرب من القوى المسيحية ومهادنتها وذلك لصد خطر العثمانيين ومقاومة عمه عبد الملك الذي فر إلى الجزائر،أما العثمانيون ف إنهم بعد انتصارهم على الإسبان في تونس ازدادت الرغبة لديهم لضم المغرب، فجهزو ا حملة على المغرب بقيادة رمضان باشا الذي اشترط على عبد الملك و أخوه أحمد المنصور المطالبين بالعرش على دفع تكاليف الحملة[5].وصلت الحملة إلى فاس لتواجه القوات المتوكل ولتقى الجمعان بالروكان قرب فاس حيث انهزم الجيش السعدي، حينها فر المتوكل إلى لشبونة عند الملك البرتغالي دون سباستيان [6] طالبا منه العون ضد عمه عبد الملك لسترادة عرشه[7].

فبعد انتصار عبد الملك على ابن أخيه دخل مدينة فاس وجمع المال ولتسديد تكاليف الحملة[8] الحملة[8] ولقب بالمعتصم وعمل على إعادة الأمن والهدوء إلى المغرب وبقي يلاحق المتوكل الذي

---

[1]-**علج علي**: تولى علي باشا حكم الجزائر سنة993هـ/1585م، للمزيد ينظر: ابن المفتي، مرجع سابق، ص44.

[2]-**معركة ليبانتو** جرت سنة 1571 بين الأسطول الحلف المقدس والأسطول العثماني بقيادة العلج علي، حيث منى بهزيمة فيها بنظر:صالح عقاد، مرجع سابق، ص94.

[3]-عمار بن خروف، مرجع سابق، ص180.

[4]-**محمد المتوكل**: 1573-1575 وهو محمد المتوكل بن عبد الله غالب ولاه أبوه على عهده وبعد وفاة أبوه بويع بفاس أولا ثم مراكش كان من انبغ الخلفاء السعدية لاسيما في الأدب والشعر، ينظر: الغادري ممد بن طيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، موسوعة إعلام المغرب، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق، ط 1، دار الغرب الإسلامي، ج 3، بيروت، 1996، ص110.

[5]- عبد الكريم كريم: مرجع سابق، ص51.

[6]- **دون سباستيان**: هو ولي عهد البرتغال وريث عرش سلالة اكيز الحاكمة وتوج ملك على البرتغال وسائر أنحاء الإمبراطورية البرتغالية تحت جلالة الملك دون سبستيان الأول سنة، 1568 وهو في سن الرابع عشر، ينظر: ديقوديطوريس، مرجع سابق ص234.

[7]- عبد الهادي التازي: مرجع سابق، ص09.

[8]- عبد الكريم كريم: مرجع سابق، ص51.

كان طامع في استرادة حكمه حيث خاض مع عمه أربعة وعشرين معركة خلال عامين[1]، لم ينتصر فيها وهكذا حتى جرت بينهما معركة استدعى فيها المتوكل بسباستيان الملك البرتغالي [2]؛وعد الملك بالدولة العثمانية[3]، وسميت بمعركة الملوك الثلاثة أو بمعركة واد المخازن[4]كما سنرى أحداثها.

[1]- عبد الكريم كريم: المرجع نفسه، ص 99.

[2]- انظر الملحق 5، ص 92.

[3]- عمار بن خروف: مرجع سابق، ص ص217،211.

[4]- **معركة واد المخازن:** 1578م وتعرف كذلك بمعركة الملوك الثلاثة، هي تجابه قوات السلطان السعدي عبد الملك وجيوش السلطان مولاي محمد، والملك البرتغالي سباستيان الذي خلع على العرش سنة 1578م ينظر: Inreveoccpationportugais du mrocyabiladi mage mai، 2011، p31.

الفصل الأول: معركة واد المخازن 1578م

(الأسباب والنتائج).

المبحث الأول: ظروف المعركة.

المبحث الثاني: مجريات المعركة.

المبحث الثالث: نتائج المعركة.

شهد القرن السادس عشر حدثين هامين، الأول ذروة الكشوف الجغرافية، وبداية التنافس الاستعماري، والثانية الصراع البحري الطويل بين العثمانيين والدول الأوروبية على ضفة البحر الأبيض المتوسط، وهذه الكشوف الجغرافية في حقيقتها امتداد للحروب الصليبية، وفي جوهرها حركة تبشيرية اتسمت بدقة التنظيم والأعداد لغزو الإسلام في إي بقعة من بقاع الأ رض، وبعد احتلال البرتغاليون لسبتة سنة 1415م أغراهم ذلك باحتلال المغرب العربي كله، ومنه وصولا إلى قلب القارة الإفريقية، فاسفرهذا التوسع عن اصطدام الجيش المسيحي بقيادة الدون سبستيان [1] ملك الإمبراطورية البرتغالية بالجيش المغربي بقيادة عبد الملك السعدي [2] وأخوه أحمد المنصور [3] في معركة فاصلة في تاريخ المغرب ألا وهي معركة واد المخازن .[4]

التي كانت تصفية لحساب، وردا لاعتبار، وتصحيحا لأوضاع. فما هي أسباب وظروف معركة واد المخازن ؟ وفيما تمثلت نتائجها؟

[1]-**الدون سبستيان**: هو ولي عهد البرتغال وريث عرش سلالة اقيز الحاكمة وتوج ملكا على البرتغال وسائر أنحاء الامبراطورية البرتغالية تحت جلالة الملك الدون سبستيان الأول سنة 1568م. وهو في سن الرابعة عشر من عمره ينظر :ديقو ديطوريس مرجع سابق، ص 234.

[2]-**عبد الملك السعدي** : هو رابع أولاد السلطان السعدي محمد الشيخ المهدي وهو أبو مروان عبد الملك بن محمد الشيخ المهدي تمت بيعته بفاس أرسى قواعد الدولة السعدية بعزيمة ويلقب بالغازي كما يلقب بالمعتصم بالله، قام بتوطيد أكان الدولة ومقاومة خصومها الداخليين وأعدائها الخارجيين توفي قبل انتهاء معركة واد المخازن ينظر : عبد الله كنون: موسوعة مشاهير المغرب، ط2، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1994م، ص ص 5، 6 .

[3]-**أحمد المنصور** : هو منصور بن محمد المهدي القائم ب أمر الله أمه مسعودة بنت الشيخ أحمد الوزكيتي ولد عام 1956م /1549م ينظر: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي: مصدر سابق، ص 25 .

[4]-**معركة واد المخازن**: سنة 1578م وتعرف كذلك بمعركة الملوك الثلاثة، هي تجابه قوات السلطان السعدي عبد الملك وجيوش السلطان مولاي محمد، والملك البرتغالي سبستيان الذي خلع عن العرش سنة 1578م ينظر inreveoccpation portugais: du maroc ;yabliladi;mage mai ;2011 p31

المبحث الأول: ظروف المعركة.

باعتبار معركة واد المخازن تصفية لحساب وردا لاعتبار وتصحيحا للأوضاع بحيث هذه المعركة لم تكن بمحضالصدفة، بل كانت وليدة لأسباب وظروف أهمها: **1-ظروف المغرب قبل معركة واد المخازن:**

أ-افتتان السعديين على الملك:

لما قضى السلطان عبد الله الغالب أثر أزمة صدرية جاء مكانه ابنه محمد المتوكل وهذا الأمر أثار حفيظة عمه عبد الملك اللاجئ إلى الجزائر حيث كان يرى نفسه أولى بالحكم فلجأ إلى القسطنطينية يلتمس النجدة بينما لجأ المتوكل إلى الدون سبستيان مستصرخا على عمه عبد الملك، فرأى سبستيان أن هذه فرصة سانحة لامتلاك المغرب فهذه الأسباب أدتإلى مواجهات عديدة بين محمد المتوكل وعمه عبد الملك على الحكم نذكر منها: [1]

-حادثة الركن 1576م:

قدم السلطان العثماني الدعم من عصابة وحصة قليلة إلى السلطان عبد الملك المعتصم بالله فذهب إلى خندق الركن وهناك التقى مع محمد المتوكل وبعد الالتقاء بعث رئيس جند الأندلس بعضا من جنوده إلى عبد الملك، ولما سمع المتوكل بذلك جزع وفر من المعركة وكان هذا سببا في خراب ملكه،وإقامة ملك عمه كما انتهبت خزانته و أوقد فيها النار [2]ولما انهزم المتوكل في الركن ذهب إلى مراكش، تقدم عمه أبو مروان إلى فاس وبايعه أهلها ثم خرج واتبع ابن أخيه إلى مراكش.

-موقعة واد الريحان 1576م:

انتقل عبد الملك من فاس إلى مراكش قاصدا ابن أخيه لحربه وتشريده عنها فالتقى الجمعان بموضع يسمى خندق الريحان وهو مكان على مقربة من واد شراط من أحواز سلا فاقتتل قتالا عنيفا وانهزم فيها المتوكل أيضا وفر مع جيشه وتبعه أحمد المنصور خليفة أخيه عبد الملك، فلما سمع عبد الملك باتباعه فر من مراكش إلى جبل درن ودخلها أحمد المنصور نائبا عن أخيه بعد بيعة أهلها له.[3]

---

[1]- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب (من أقدم العصور إلى اليوم فضالة بالمحمدية، ج 8، د ط، 1988م، ص09 .

[2]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: مرجع سابق، ج 5، ص 64 .

[3]-المرجع نفسه: ج 5، ص 65.

موقعة تنزرت[1]: فر المتوكل من مراكش وراح يجول في جبال السوس حيث اجتمعت عليه طائفة من الصعاليك، فقادهم كملك عليهم و أخذهم إلى مراكش، فدخلها باتفاق أهلها وكتبو ا له البيعة، ولما سمع به عبد الملك حاصره بها وطلب من أخيه أحمد المنصور أن يأتيه بجيش من فاس وبعد وصوله إلى مراكش فر المتوكل إلى السوس وتبعه أحمد المنصور وهناك دارت بينهما حروب عظيمة منها واقعة تنزرت وكان النصر فيها للمنصور ومنها الوقعة التي بعدها في أساطين، وبالرغم من قلة عدد جيش المنصور إلا أن النصر أتيح له،وبعد توالي الهزائم على المتوكل فر إلى جبل درن ثم إلبادس ومنها إلى سبتة ثم دخل طنجة مستصرخا بملك البرتغال. [2]

ب– التقارب الإنجليزي مع عبد الملك السعدي:

كاتب عبد الملك المعتصم الملكة الإنجليزية اليزابيت[3] ليخبرها بتوليه السلطة وأنه مستعد لتلبية احتياجاتها بالإضافة إلى استدعائه للتاجرين جيبو ويليام وجيبوبامبتو حيث اكد لهم على قبول جميع الاتفاقيات التي عقدوها مع المغرب متأملا في ذلك في ازدهار المغرب حيث تكون طريقا تجاريا لنقل البضائع من البلدان الأوروبية إلى الشرق الإسلامي كما سمح لهم بتجارة البارود مقابل القنابل للمدافع وأسلحة أخرى فاستجابت الملكة اليزابيت وشكرت عبد الملك على نواياه الطيبة وطلبت منه أن يكون ذلك في الكتمان هذا التقارب استاءت منه البرتغال [4] و إسبانيا وبالرغم من الرسالة التي أرسلها عبد الملك إلى فليب الثاني. [5] منذ توليه الحكم فقد أرسل له للمرة الثانية رسالة مع حاكم

---

[1]–**تنزرت**: هي مدينة بين فاس وجبال غمارة ذكرها الوزان باسم تنصر، ينظر: حسن الوزان: مصدر سابق، ص 308.

[2]– مؤرخ مجهول: الدولة السعدية التكدمارتية، مصدر سابق، ص 55.

[3]–**اليزابيت**: ملكة انجلترا ابنة هنري الثامن وهي التي حمت البروتستانت والألمان والهولنديين، ازدهرت علاقة المغرب بانجلترا في عهدها ينظر: الفيلالي عبد الكريم: ج 3، ص360 .

[4]–**البرتغال**:مؤخوذة من paurtuscale^ وهو الميناء الواقع عند مصب دويرة pouro قامت سنة 1109م وبقيت ملكية حتى 5 أكتوبر 1910م مساحتها 530،91كم2 متوسط عرضها 161كم وطولها من الشمال إلى الجنوب 593كم وعدد سكانها اليوم ملايين نسمة ينظر: شوقي أبو الخليل: واد المخازن (معركة الملوك الثلاثة القصر الكبير)، دار الفكر، ط1، بدمشق 1988م، ص 11.

[5]–**فليب الثاني**: ملك إسبانيا منذ سنة 1556م إلى سنة 1598م ولد بمنطقة بلد الوليد في 21 ماي 1527م، أبوه شارل الخامس وأمه تسمى ازابيلا من البرتغال، عمل على تعزيز مكانة إسبانيا السياسية والعسكرية، كانت له علاقات متشعبة مع المولى أحمد المنصور. ينظر :

mwatsonM:phillpell roi d espgnevoll،mesterdam p 1 .

وهران الإسباني كتب له فيها بأنه دائما يبحث عن صداقته مستعرضا فيها أهم بنود المعاهدة التي تنص على إقرار السلم بينهما وحرية التجارة.[1]

ج- استنجاد محمد المتوكل بالبرتغاليين:

استنجاد المتوكل المسلوخ [2]بسباستيان على عمه عبد الملك المعتصم بالله و أحمد المنصور وعلى بني جلدته فاشترط عليه أن يكون للنصارى سائر السواحل وله ماوراء ذلك، في بادئ الأمر طلب معونة فليب الثاني ملك إسبانيا في أن يعينه على استرجاع ملكه لكنه امتنع عن ذلك إلا بعد أن توجه له سبستيان وأقنعه بإعانته مقابل أن يعطيه من المراكب والعساكر ما يملك به مدينة العرائش [3] لأنه كان يرى أنها تعدل سائر مراسي المغرب، ووجد سبستيان في هذا فرصة هائلة لاسترجاع المجد البرتغالي واحتلال أجزاء كبيرة من المغرب[4]، ثم قدم له عشرين ألفا من عسكر إسبانيا وأخذ سبستيان معه اثني عشر ألفا من البرتغال وثلاثة آلاف من إيطاليا وغيرهم من ألمانيا وإسبانيا بالإضافة إلى أربعة ألاف أخرى بعثها البابا صاحب رومة إلى سبستيان وكان محمد المتوكل في طنجة [5] ينتظر قدوم سبستيان، فاجتمع به هناك وزحفوا إلى بلاد الغرب[6].

---

[1]-عبد الكريم كريم: مرجع سابق، ص 101.

[2]- المتوكل المسلوخ : هو اسم يطلق على محمد المتوكل الذي لما مات غرقا تم سلخ جلده ليكون عبرة. ينظر: سعيد اعراب :(موقعة واد المخازن واندحار الصليبية بالمغرب)، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط المغرب، السنة 19، العدد 8، رمضان أوت 1978م، ص 93.

[3]- العرائش: مدينة أسسهاالأفارقة القدامى على شاطئ المحيط في المكان الذي يصب فيه نهر اللوكس في البحر، وهي واقعة من جهة على ضفة النهر، ومن جهة أخرى على المحيط. ينظر : حسن الوزان: مصدر سابق، ص 302 .

[4]- شوقي أبو خليل: مرجعسابق، ص ص 47، 49.

[5]- طنجة: تقع هذه المدينة في أقصى الشمال الغربي للبلاد على شاطئ المحيط الأطلسي، في الطرف الجنوبي الغربي من مضيق جبل طارق. ينظر: يحي الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ط 1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م، ص 215.

[6]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري :مرجع سابق، ج 2، ص ص 280،281 .

2- ظروف البرتغال قبل معركة واد المخازن:

عرفت البرتغال ظروف متعددة كانت سببا في اندلاع معركة واد المخازن نذكر منها:

أ-الضائقة الاقتصادية:

في عهد جان الثالث كانت الحالة الاقتصادية للبرتغال سيئة حيث استنزفت الحروب الكثير مواردها البشرية والمالية بالإضافةإلى مواجهة مقاومة المغاربة ضدهم، وكذلك العثمانيين الذين امتد نفوذهم إلى الجزائر وتلمسان، وازدادت أحوال البلاد سوءا في ظل حكم كاترينا زوجة جان الثالث[1]. بالإضافةإلى مشكلة القرصنة [2] لتجارتها في البرازيل وآسيا،فتوسع البرتغال في الخليج العربي افقدها موارد مالية ضخمة بالإضافةإلى قلة سكانها[3].

ب- طموحات الدون سبستيان وتحرشاته على المغرب:

أراد ملك البرتغال الدون سبستيان القيام بعمل سياسي وديني هدفه:

1-محو ما وصم به عرش البرتغال خلال فترة حكم أبيه بسبب وصفه بالضعف والتخاذل، حيث انسحب البرتغاليون في عهده من آسفي [4]وازمور وأصيلا [5] وغيرها[6] .

2- أرادأن يعلي شأنه ليتوج نفسه إمبراطورا على المغرب و إفريقيا فهو حلم اكتشاف الدنيا بعد الكشوف الجغرافية، حيث طمح إلى احتلال كل أراضي الإسلام والقضاء عليها، وبدافع الحقد والتعصب الصليبي من جهة وبدافع من العقلية الاستعمارية من جهة أخرى، كان يملك من الحماس

---

[1]- شوقي عطاالله الجمل: مرجع سابق،ص 64.

[2]-**القرصنة:** مصطلح اطلق على العمليات العسكرية في البحر،التي كان البحارة المسلمون يشنونها على الأساطيل المسيحية كرد فعل على غاراتهم على بلاد المسلمين،وبسبب الاضطهاد الذي تعرض له أهل الأندلس،وبالمفهوم الإسلامي،فهي حرب مشروعة للمسلمين للدفاع عن دينهم ووجودهم .ينظر: جون ولف بابتيست:الجزائر و أوروبا،(1500-1830) ترجمة وتعليق أبو قاسم سعدالله،طبعة خاصة، دار عالم للمعرفة،الجزائر، 2011م،ص 179 .

[3]- شوقي عطاالله الجمل، مرجع سابق، ص 64 .

[4]-**آسفي:** تقع هذه المدينة على المحيط الأطلسي وبها ميناء هام لتصدير الفوسفات والاسمالك.ينظر: يحي الشامي: مرجع سابق ص 60.

[5]-**أصيلا:** تقع جنوب مدينة طنجة بحوالي 50كلم في شمال المغرب . ينظر: مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار(وصف مكة والمدينة،مصر،وبلاد المغرب)نشر وتعليق عبد الحميد سعد زغلول،دار الشؤون الثقافية العامة، آ فاق عربية،بغدادالعراق،1986م،ص 137 .

[6]- شوقي أبو خليل: مرجع سابق، ص ص45،46.

والحقد على الإسلام وأهله عموما وعلى المغرب خصوصا حيث خطط لاحتلاله .[1] بد ا الدون سبستيان بتنظيم الجيوش وانتشر خبر الحملة العسكرية المقررة على طنجة، فاتخذ عبد الله الغالب استعدادات عسكرية لمواجهة هذا الغزو وأمر ببناء حصن على الجبل القريب من أغادير [2] ظنا في أن سبستيان يقصد الاستيلاء عليها فتوافد الأعيان والنبلاء إلى الملك سبستيان لمنعه من خوض الحملة، كما انقسم الر أي العام البرتغالي إلى تياران، تيار متطرف متحمس لمشروع الحملة وتيار معارض للحملة وعلى رأسه الكاردينال هنري عم الملك يرى أن عروض المتوكل ليست إلا فخا يهدف إلى إيقاف ملك البرتقال وجيشه في كمين.[3]

كان عبد الملك على علم باستعدادات الحملة فحاول إيقاف الغزو، لكنه لم ينجح فقد كانت استعدادات الحملة قد تمت وتحركت قوات الغزو إلى أصيلا .[4]

ج- فقدان البرتغال لبعض مستعمراتها في عهد الملك جان الثالث: 1521 . 1557م .

في الوقت الذي وصل فيه جان الثالث إلى الحكم كانت البرتغال تعاني من أزمات سياسية واقتصادية بسبب الحروب التي شهدتها والتي كانت سببا في استنزاف الكثير من موارد البرتغال، إضافة إلى مواجهة العثمانيين في كل من الجزائر وتلمسان ومنافسة الإسبان لها، وبالرغم من الأوضاع التي كان يعاني منها البرتغال ذهب المغاربة ليشن حملات على المناطق المحتلة لإجلائها من قبل البرتغال.[5]

"حيث تعرضت أصيلا عام 1524م لهجمات متعددة من الشريف أبو العباس الأعرج [6] كما تعرضت آسفي عام 1534م لهجوم مماثل "[7]

---

[1]- محمود علي عامر: تاريخ المغرب العربي الحديث، الجمعية التعاونية، د ط، بدمشق، د ت ب، ص 53 .

[2]-**أغادير**: هي مدينة مغربية تقع على ساحل المحيط الأطلسي في الجنوب الغربي للمغرب الأقصى، وإلى الشمال الشرقي تب دأ جبال الأطلس الأعلى وإلى الجنوب منها والشرق سهل منبسط، تزرع فيه شتى أنواع أشجار الفاكهة والخضار وغيرها . ينظر: يحي الشامي: مرجع سابق، ص 211 .

[3]- محمود علي عامر: مرجع سابق، ص 53 .

[4]-نفسه، ص 54 .

[5]-شوقي عطاالله الجمل: مرجع سابق، ص64 .

[6]-**أبي العباس الأعرج**: ولد سنة 1486م بويع وليا للعهد سنة 918 هـ وكان أول عمل بادر إليه هو تعيينه للجيوش للجهاد ضد النصارى. ينظر: ابراهيم حركات: مرجع سابق،ص 276 .

[7]- شوقي عطاالله الجمل: مرجع سابق، ص 65.

ونظرا لهذه الحملات أرسل حكام البرتغال تعزيزات للحاميات البرتغالية الموجودة في الثغور المغربية لأن معداتهم الحربية أصبحت غير كافية لكن دون جدوى، ثم جاءت فكرت التفاوض في وضع هذه الأقاليم تحت حكم البرتغال لكن وضع البرتغال كان غير مستقر ومن ثم جاءت فكرة إجلاء الثغور المغربية [1] وتركيز الجهد في مناطق أخرى من العالم في الشرق أو العالم الجديد، لكن فكرة إجلاء الثغور كانت بين مؤيد ومعارض، فمن بين المؤيدين بعض الأساقعة ورجال الدين، ووجدوا في إجلاء آسفي وازمورو سنتاكروز تخفيفا من العبء على الدولة لكنهم نصحو بالاحتفاظ بسبتة[2]، أما المعارضين منهم: شقيق الملك جان الثالث المدعو فرناندو حيث قال: " إن الحصون البرتغالية في هذه الثغور لها أهميتها ويمكن اتخاذها في المستقبل كقاعدة لعمليات عسكرية أخرى"[3].

وإن كان الإجلاء اختياري تمكن المغاربة من تحرير أغادير عام 1541م ثم أخليت آسفي وأزمور في نفس السنة ثم القصر الصغير وأصيلا سنة 1550م والأسباب التي أدتإلى الإجلاء هي الضائقة المالية بالإضافة إلى انعزال هذه الثغور وصعوبة اتصالها مع العاصمة لشبونة ولم يكن الحكام في هذه المناطق على كلمة واحدة، لم تكن لهم خطة مرسومة واحدة اتجاه المسلمين وهذا ما أدى إلى التعقيد والتعطيل في توصيل المعونة إلى الحاميات في الثغور المغربية وهكذا أصبح الحصن تحت رحمة القبائل المحيطة به [4].

د- التفاهم السري على الحملة بين فليب الثاني وسبستيان:

وجد الدون سبستيان في استنجاد المتوكل فرصة للسيطرة على المغرب حيث أمده "باثني عشر ألفا من البرتغال وثلاثة آلاف من الطليان ومثلها من الألمان وبعث له البابا صاحب روما بأربعة آلاف أخرى وبألف وخمس مئة من الخيل، واثني عشر مدفعا وجمع سبستيان نحو ألف مركب ليحمل هذه الجموع إلى العدوة المغربية " [5].

---

[1]- شوقي عطاالله الجمل: المرجع السابق،ص65 .

[2]- نفسه ،ص66 .

[3]- نفسه، ص 67.

[4]- نفسه، ص ص69 ، 71.

[5]- نفسه، ص 47 .

وهكذا كان التفاهم مع خاله لتقديم الدعم له لهذا الغزو كي يتقاسم الأدوار معه للسيطرة على المنطقة حيث كان استنجاد المتوكل حافزا مشجعا لحملة صليبية جديدة على المغرب العربي.[1]

3- ظروف الدولة العثمانية[2]قبل معركة واد المخازن:

من بين أسباب الدولة العثمانية التي عجلت بمعركة واد المخازن نذكر:

أ- انهزام العثمانيين في معركة ليبانتو[3] 1571م :

بعد تغلب العثمانيين على البندقية وفتح الكثير من بلادها، طلبت هذه الأخيرة الدعم من إسبانيا وتم الإتفاق بينهم على محاربة الدولة العثمانية بحرا خوفا من امتداد سلطتها على إيطاليا فجمعوا مراكبهم المؤلفة من 80 سفينة إسبانية و140 من سفن البنادقة و 12 للبابا و 9 من رهبنة مالطة وتقابلوا مع جيش الدولة العثمانية المؤلف من 300 سفينة في 17 اكتوبر 1571م، بالقرب من لبنتة واشتد القتال بينهم وانتهى بانتصار الدولة المسيحية حيث أخذت 130 سفينة عثمانية وأحرقت وأغرقت 94 وغنمت 300 مدفعا و 30 ألف أسير، وكان لهذا الفوز رنة فرح في قلوب المسحيين ومخيبة لأمال العثمانيين التي ترتب عنها زوال خطر السيادة العثمانية في البحر الأبيض المتوسط وهذا ما سهل عملية الملاحة البحرية الأوروبية وسيطرتها التامة على حركة التجارة العالمية وهذا الانتصار أكسب القوات الأوروبية قوة حيث أخذو يتطلعون إلى تحقيق انتصارات أخرى مولين أنضارهم إلى المغرب الأقصى وإفريقيا[4].

---

[1]- شوقي أبوخليل: مرجع سابق، ص 49 .

[2]-**الدولة العثمانية** :تأسست في آسيا الصغرى (تركيا) وكانت عبارة عن إمارة صغيرة ثم تطورت إلى إمبراطورية واسعة ذات ممتلكات شاسعة موزعة بين قارات العالم القديم حيث جاوزت روسيا، والنمسا، في أوروبا، وضمت كل من البلقان ماعدا اليونان (روما، بلغاريا، المجر، الهرسك، الجبل الأسود). ينظر: إسماعيل ياغي: مرجع سابق،ص9.

[3]-**ليبانتو**:أولبنتة وهو المكان الذي جرت فيه المعركة التي دارت بين القواة العثمانية والأساطيل المسيحية وانتهت بانتصار المسيحية . ينظر: محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط 3، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2009م،ص 111.

[4]- محمد فريد بك المحامي: المرجع نفسه، ص ص258،257 .

ب- اشتغال العثمانيين في حروبهم مع تونس ضد الإسبان:

انتصر العثمانيون في حروبهم مع تونس ضد الإسبان وقد شجعهم ذلك على تقديم المساعدة للمولى عبدالملك الذي طالب بالعرش المغربي وبسط نفوذهم في البلاد من أجل تأمين الحدود المغربية للإمبراطورية العثمانية وتوطيد أقدامهم في الشمال الإغريقي لبعث الرعب في قلوب الإسبان والبرتغال.[1]

المبحث الثاني: مجريات المعركة.

مرت معركة واد المخازن بمجريات تمثلت في التحضير والاستعداد للمعركة ودامت هذه المجريات أيام عدة قبل اندلاع المعركة ومن بين هذه المجريات نذكر:

1-استعدادات المعركة:

في سنة 986هـ ربيع الثاني خرج محمد المتوكل بجيش البرتغال وذهب به إلى طنجة ولما سمع عبد الملك المعتصم بقدومه لاذوا بالفرار و التحصن بالجبال، لما وصل الجيش البرتغالي إلى طنجة شنة الغارة على السواحل فاشتك أهلها إلى السلطان عبد الملك الذي كان بمراكش فكتب إلى الطاغية سبستيان: " إن سطوتك قد ظهرت في خروجك من أرضك وجوازك العدوة ف إن ثبت إلىأن تقدم عليك فألفت نصراني حقيقي شجاع و إلا فلفت كلب ابن كلب" [2] فلما بلغه الكتاب قال لأصحابه نتقدم إلى طنجة حتى يلحق بنا أصحابنا فقال له محمد ابن عبد الله نتقدم ونملك تطاوين [3] والعرائش والقصر لكن الطاغية رفض ذلك، وكتب السلطان عبد الملك لأخيه أبي العباس أحمد المنصور أن يحظر جيوش فاس ويتهيأ للقتال، واختار القصر الكبير [4] مكانا لقيادته وبد أ يراقب تحركات سبستيان وجيشه وطلب منه القدوم إلى ميدان المعركة حيث كتب له: " إني رحلت إليك ست عشر مرحلة إما ترحل اليا واحدة" [5] فنصحه رجاله والمتوكل بأن يبقى في أصيلا لكن تشوقه

---

[1]- شوقي أبو خليل: مرجع سابق،ص 49 .

[2]-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري :مرجع سابق، ج 2، ص 277 .

[3]-**تطاوين**: تقع هذه المدينة على ساحل حوض البحر الأبيض المتوسط جنوب مضيق جبل طارق ولقد تم بنائها في عهد السلطان الوطاسي محمد الشيخ الذي تولى حكم المغرب (876هـ 910هـ)وأول حاكم بها هوالقائد أبو الحسن المنضري.ينظر: محمد داود: تاريخ تطوان، معهد مولاي الحسن تطوان، ج 1، 1959م، ص 107 .

[4]-**القصر الكبير** : هي مدينة كبيرة أسست في عهد المنصور ملك مراكش، ويمر بجوارها نهر اللوكس الذي يفيض أحيانا حتى يصل الماء إلى باب المدينة.ينظر: حسن الوزان: مرجع سابق، ص 303 .

[5]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، مرجع سابق، ج 2، ص 278.

وغروره جعله يرفض النصيحة فتحرك مع جيشه قاصدا القصر الكبير فشاهد الجيش المغربي متجه نحوه، وعند وصول الملك سبستيان وجيشه واد المخازن [1] خيم قبالة الجيش المغربي، في الوقت الذي أمر فيه عبد الملك أخاه أحمد المنصور بهدم قنطرة واد المخازن، فهذا الواد ليس له طريق إلا هذه القنطرة .[2]

تجارب عبد الملك في عزل عدوه عن أسطوله بالشاطئ نجحت بمكيدة عظيمة عندما جاء سبستيان إلى المكان الذي حدده له عبد الملك ميدانا للمعركة وعندما أمر أيضا بالقنطرة أن تهدم [3]. جعل سبستيان المدفعية في الأمام، ووراءها الجيش و أربعة كتاب في الوسط والفرسان على المجنبتين وشرذمة تجمعت حول المتوكل في اليمنة، [4]أما عبد الملك فقد نظم جيشه على شكل هلال " الخيالة في الجناحين والمشاة في الوسط تغطيها المدفعية من الخلف [5]، واتخذ مواقع تسهل المناورة والحركة "[6] "[6]

فبالرغم من أن الجيش المغربي كان يملك مدفعية أقل وفرسانا أقل إلا أنه اتخذ وضعا قتاليا ممتازا فالحماس الديني والوطني طاغ على المحاربين المغاربة،فقد كانت هذه الحملة صليبية حيث باركها البابا وقدم لها مساعدات مادية ومعنوية وعسكرية ومعهم محمد المتوكل الذي نصحهم باحتلال تطوان والعرائش قبل التوغل في الداخل لكنهم رفضوا وقرروا الاصطدام المباشر وكان معهم بعض المسلمين من بينهم محمد بن عسكر [7]، ثم قام محمد المتوكل بإرسال رسالة إلى أعيان المغرب يقول إن المسوغات هي التي حملت على طلب الإعانة من الأجنبي فردوا عليه برسالة تؤكد على خلعه من العرش[8].

---

[1]-**واد المخازن**: هو رافد من روافد نهر اللوكس الذي يصب عند ميناء العرائش والرافدان الآخران هما وادي وارور ووادي ريسانة أي موقع المعركة وحاصرته الروافد الثلاث.ينظر : عبد الفتاح مقلد الغنيمي موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج 5، ط 1، مكتبة مديولي، 1994م، ص 182.

[2]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : مرجع سابق، ج 2، ص 278 .

[3]- شوقي أبو خليل: مرجعسابق ، ص 62 .

[4]-انظر الملحق 03، ص90.

[5]-انظر الملحق 04، ص91.

[6]-محمود علي عامر:مرجعسابق، ص 55.

[7]-نفسه، ص ص 45،45 .

[8]- عبد الهادي التازي : مرجع سابق ، ص10 .

شرع سبستيان ملك البرتغال في التحظير للحملة بمساعدة محمد المتوكل واستعادة المناطق التي حررت [1]، فقد كان الملك سبستيان جد متحمس لهذه الحملة خاصة بعد تلقيه لهدية رمزية من خاله فليب الثاني وهي الخوذة التي كان يلبسها جده شارل الخامس، فرح سبستيان بالهدية واعتبرها بشرى للنصر[2].

عبد الملك كان على علم بالاستعدادات البرتغالية فحاول إحباط التعاون بين سبستيان والمتوكل بتقديم عرض وتسليم سانتاكروز لكن هذا العرض لم ينجح لأن الحملة كانت قد تمت وتحركت قوات الغزو إلى أصيلا[3].

قدم بعض القادة الأتراك إلى تسميم عبد الملك مستغلين فرصة استعداداته لمواجهة البرتغاليين [4].

فلقد كانت معنويات الجيش المغربي عالية ل 3 أسباب :

- توالي انتصاراتهم على البرتغاليين المحتلين عندما انتزعوا منهم الثغور المحتلة.
- كانوا يعلمون أن مصير البلاد مرهون بتلك المعركة فسبستيان ومن معه يمثلون حركة توسع على حساب الإسلام وأراضيه.
- هذه المعركة كانت حاسمة في تاريخ الإسلام عامة، وفاصلة في تاريخ المغرب خاصة.[5]

2- قوات الجيش المغربي و البرتغالي:

كان الجيش المغربي بقيادة الملك المعتصم بالله والذي بلغ عدده الإجمالي 40000 مجاهد[6] وقد وقد كان أحمد المنصور هو الذي حظر هذا الجيش الذي كان يتكون من رجال وعتاد بالإضافةإلى معاونة اتباع الحركة الدينية الجزولية ورئيسها حيث تطوع الآلاف منهم للدفاع بالإضافةإلى العنصر التركي

[1]- شوقي أبو الخليل : مرجع سابق، ص 49.

[2]-عبد الله العمراني:(معركة القصر الكبير)، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط، المغرب، العدد 1، نوفمبر 1964م، ص 45.

[3]- محمود علي عامر: مرجع سابق، ص 54.

[4]- عبد الكريم كريم: مرجع سابق، ص 105.

[5]- مؤلف مجهول:تاريخ الدولة السعدية التكدمارتية ، مصدر سابق، ص 51 .

[6]- شوقي أبو الخليل :مرجع سابق، ص 57 .

الذيشارك في هذه المعركة حيث وصل دعم كبير من الجزائر حوالي 150 سفينة حربية و 4000/ 5000 جندي تركي، فهذه المشاركة كانت فعلية حيث كان لها صدى واسع حتى خارج المغرب[1].

بالإضافة إلى المجاهدين والجنود النظاميين والقوات التي بعثها باشا الجزائر لصد الغزو البرتغالي فقد كان الجيش المغربي يملك تفوقا في الخيل بالإضافة إلى امتلاكه ل 34 مدفعا[2]،فقد كانت هذه القوة الشعبية مشحونة إيمانا والتزاما للدفاع عن أرضها ووطنها ودفع الخطر الصليبي عن أرض المغرب بقياد ة أبي المحاسن يوسف الفاسي الذي قاد أحد جناحي الجيش المغربي، وبالرغم من الانكسار الذي أصاب المسلمون بسبب حملة النصارى عليهم إلا أن أغلب الجيش ثبت واستمر في المعركة إلىأن نصر الله المسلمون، والشيخ أبي المحاسن لم يلتفت منذ بداه للقتال، وبعد الانتصار لم يأخذ شيئا من الغنيمة[3].

بلغ عدد الجيش البرتغالي 125000 جندي بالإضافةإلى القوات الإسبانية والتي قدرت ب 20 ألف مجاهد و3 آلاف جندي ألماني و7 آلاف جندي إيطالي بالإضافةإلى جيش المتوكل المسلوخ التي كانت تتراوح بين 300 و600 رجل إضافة إلى القوى البشر قوى مادية ضمت ألوف الخيل وأربعين مدفعا وكل هذه القوى كانت بقيادة الملك سبستيان [4] . لكن بعض المراجع الغربية تقلل من عدد الجيش البرتغالي بعد الهزيمة حيث تقول: إن عدد الجيش البرتغالي اثني عشر ألف مقاتل فرواية هنري دوكاستري[5] تقول: " إن القوات البرتغالية كانت موزعة كما يلي: ثلاثة آلاف من جيش الأسطول وألفان من الجيش الاحتياطي و أربعة عشر ألف من المشاة و ألفان فارس وثلاثة آلاف من معبدي الطرق، المجموع أربعة وعشرون ألف مقاتل ويدعمهم حوالي مئتين مدفعا هذا بالإضافةإلى ألف عربجي فرقة عسكرية تجر عربات المدافع وحشد لانهاية له من الغلمان والحشم والرقيق المغاربة وغيرهم "[6] .

.

[1]- مصطفى الغاشي :الرحلة المغربية والشرق العثماني (محاولة في بناء الصورة) الانتشار العربي، ط 1، بيروت، 2015م، لبنان ص 83.

[2]- عبد الكريم كريم :مرجع سابق، ص 105.

[3]- شوقي أبو الخليل: مرجع سابق، ص 58 .

[4]-نفسه، ص 55

[5]- هنري دوكاستري: بعد مقتل الملك البرتغالي سبستيان وإمام عجز الأسرة في إيجاد من يرث ملك هذه الدولة، فتولى الحكم عمه الكاردينال هنري بالرغم من كبر سنه ومرضه بالسل. ينظر:
fernandbraudel:la mediterraneeetmondemediterraneemalepoque،t2،armandcoluiparis1966p63

[6]- شوقي أبو الخليل: مرجعسابق، ص ص 55، 56 .

بينما ذكر المؤرخ الفرنسي ارنستشريار أن الملك البرتغالي سبستيان حشد حوالي ثمانين ألف مقاتل[1].

3- اندلاع المعركة:

"خرجت السفن البرتغالية من لشبونة في 24 يونية سنة 1578م ووصلت إلى قادس في 29من هذا الشهر ومنها أبحرت إلى طنجة فوصلتها في 8 يوليو من هذا العام واتجه البرتغاليون إلى أصيلا وكانوا قد وضعوا أيديهم عليها بمعاونة المتوكل على الله "[2].

بقي الجيش البرتغالي فترة في أصيلا وقد أضاع الملك سبستيان الوقت في مناقشة الطريق الذي سوف تسلكه الحملة هل تحتل العرائش ثم القصر الكبير أم تتخذ طريق البر[3].وفي اليوم الثاني التقى الجيش المغربي مع الجيش البرتغالي في يوم الاثنين 986هـ على واد المخازن [4] بالقرب من القصر الكبير وقبل نشوب المعركة أمر عبد الملك المعتصم بهدم القنطرة كي يتعذر على العدو الفرار [5]، وعندما تقابل المسلمون مع النصارى في القتال أغارت أولاد مطاع على محلة المسلمون لإفسادها وذلك لخدمتهم لمولاي محمد لكن الله نجى المسلمين من هذا الفساد العظيم[6]، خاض الطرفان حرب حرب هائلة حيث عمل الرصاص والمدافع عملهم بالإضافةإلى السيوف والخناجر حيث تلونت مياه النهر بدماء القتلى والجرحى، فالفلاحون والفلاحات تركوا حقولهم وهرعوا إلى المعركة حاملين فؤوسهم ومناجلهم، فوجدوا في حصد رؤوسهم لذة اعظم من حصد سنابل القمح والشعير، وكان النصر حليف المغاربة الأبطال وحلت الهزيمة بالبرتغاليين، وهرب البرتغاليون منهزمون باتجاه القنطرة للنجاة بأنفسهم فوجدوها مهدمة فألقوا بأنفسهم في النهر[7] .

وفي أثناء المعركة توفي عبد الملك المعتصم متأثر فيما قيل بالسم الذي دس إليه، وحظر الحملة حتى يتشجع المسلمين بوجوده وتم كتم خبر وفاته عن المسلمون إلا عن أخيه أحمد المنصور كي لا

---

[1]- عبد الله عمراني: مرجع سابق، ص 4 .

[2]- شوقي عطاالله الجمل،:مرجع سابق، ص 188 .

[3]-نفسه، ص 188 .

[4]-للاطلاع على مكان وقوع المعركة.انظر: الملحق 05، ص92 .

[5]-محمد الامين، محمد الرحماني، محمد علي: المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، د ط ، د ب ن ، د ت، ص 196.

[6]- مؤلف مجهول:تاريخ الدولة السعدية التكدمارتية، مرجع سابق، ص 62.

[7]- محمد الأمين محمد، محمد الرحماني،محمدعلي :مرجعسابق، ص197.

يتأثروا بوفاته، وكان السائس يعطي الأوامر ومات في هذه الواقعة ثلاثة ملوك هم عبد الملك السعدي ومحمد المتوكل والدون سبستيان لذلك يسميها المسيحيون بمعركة الملوك الثلاث والمسلمون بمعركة واد المخازن[1].

لم تكن القوات العددية هي السبب في تحقيق النصر أ الهزيمة و إما الحماس الديني الذي به المغاربة البرتغاليين بالرغم من أنهم حضروا بروح صليبية[2].

انتصر المغرب على عدوه انتصارا عظيما حيث أذ المسلمين يقتلونهم كيف شاؤو اسيوفهم فجمع القائد رؤوس الناس، وفي هذه الأ ثناء علموا بموت السلطان عبد الملك وتم نقله إلى مقبرة السعديين بمراكش، أما المتوكل فتم سلخ جلده وحشي تبنا و أخذ النبلاء البرتغاليون جثة سبستيان ووضعوها على حصير مصنوع من القصب ثم أخذها خاله فليب الثاني حيث قام بتحنيطها في القصر الكبير[3]

[1]-إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ج 2، د ط، د ب ن، 2000م، ص 294.

[2]- نفسه، ص 294 .

[3]- ابن الحاج النميري: فيض العباب وإفاضة القداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دار الغرب الإسلامي، ط 1 بيروت، لبنان، 1990م،بص ص 99،100.

المبحث الثالث: نتائج معركة واد المخازن.

عادت معركة واد المخازن بنتائج إيجابية وسلبية، إيجابية على المغاربة بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة ونتائج سلبية على البرتغاليين ومن بين هذه النتائج نذكر:

1- بالنسبة للمغاربة:

كانت هذه الغزوة من الغزوات العظيمة حيث شبهت بغزوة بدر وهذا لعظمة وحكمة وشجاعة عبد الملك المعتصم بالله و أخيه احمد المنصور الذهبي بالإضافةإلى القدوة والأسوة المثالية التي أعطاها عبد الملك المعتصم بالله عند الهجوم الأول قبيل وفاته و إتمام أخيه أحمد المنصور ما بدأه أخيه قبيل وفاته.

كانت هذه المعركة نهاية لعظمة البرتغال وموت محمد المتوكل الذي وجد غريقا في واد المخازن حيث أنه لما رأى الهزيمة فر بنفسه واضطر إلى عبور النهر لكنه غرق ومات فاستخرجه الغواصون وسلخ وحشي جلده تبنا وطيف به في مراكش وممن وجد مع المتوكل محمد بن عسكر حيث قيل أنه هرب مع المتوكل المسلوخ بالإضافةإلى موت عبد الملك أثناء المعركة لم يعلن عن موته إلا بعد انتهاء المعركة .

الإشارات كانت تنبئ بانتصار البرتغاليين ونهاية استغلال المغرب، لكن موت سبستيان ومحمد المتوكل غير مجرى الأحداث، فقد كانت نهاية المعركة بانتصار المغاربة وبيعة أحمد المنصور.

الانتصار كان عظيما معززا حيث مكن السعديين من استعادة هيبتهم وتدعيم استقلالهم فتوالت هدايا الدول الأوروبية لأحمد المنصور تدعيما لسلطانه وقوته وقدرات بلاده حيث اقترن اسمه بالذهبي ودخلت معه الدولة السعدية فترة مجدها وعظمتها حيث سيطر المغرب على التجارة كلية وبرزت هذه الآثار على جيشه الذي تغدى بعبيد السودان حيث انشأ جيش قوي مستفيد من الخبرة التي اكتسبها وهو مقيم في ثكنات جيش الاستانة، كما قضى على اضطرابات منطقة السوس وتمرد قبائلها الرافضة للمطالب المخزنية.

وأنشأ مجلسا استشاريا باسم الديوان فقد كانت الدولة ترجع إليه في اتخاذ قراراتها السياسية.

انتصار المغاربة في معركة واد المخازن أتاح لهم فرصة لترتيب أوضاعهم الداخلية وتحسين ظروفهم الاقتصادية كما أعاد في نفوسهم الثقة بالنفس وقدرتهم على القضاء على المخططات الاستعمارية من الدول الأوروبية.

وبعد تحديد البيعة لأحمد المنصور بفاس يوم الخميس العاشر من جمادى الآخر سنة 1578م بدأ في تأدية عمله لكن أبناء عمومته وأولاد إخوته فروا خوفا من شدته.

لكن سرعان ما نادى الأتراك وبعض المتآمرين بأحقية المولى إسماعيل بن عبد الملك في العرش المغربي لبث روح التفرقة والخروج على المولى أحمد المنصور فاضطر المولى أحمد إلى الفرار خوفا من أن يقتلوه إلا أن المغاربة أصروا على بيعته فالمولى عبد الملك المعتصم أوصى أخيه أحمد المنصور أثناء مرضه بأن يتولى الحكم بعده .

قام أحمد المنصور بإرسال جثة أخيه المعتصم إلى فاس وذلك في موكب رهيب حيث حمل نعشه كبار فقهاء فاس وقضاتها وأمر بسلخ جثة المتوكل وحشوه تبنا لهذا سمي بالمسلوخ.

هذا الانتصار كان فرصة للمغرب للاستقرار والازدهار والبناء والتعمير بالإضافةإلى الأموال البرتغالية التي دفعت لافتداء الأسرى وازدهار الحركة الفكرية والأدبية.وكثرة الشعراء والأدباء أمثال :عبد العزيز الفشتالي[1] والمقري[2] و ابن القاضي[3].

توافدت الدول الأوروبية إلى المغرب لتقديم الهدايا لأحمد المنصور لإرضائه منهم، وهم ملك فرنسا وملك إسبانيا وسفراء إنجلترا وحاكم البرتغال. .

هذا الانتصار أكسب المغرب مكانة دولية عالية، تمثلت جوانبها بالسفارات والبعثات من بينها السفارة التي وجهها أحمد المنصور إلى إسطنبول يخبره عن انتصار دينه واستيلائه على أحزاب الشرك والكفر، ونفس السفارة حملت رسالة إلى والي الجزائر حسن باشا وهدية للمولى إسماعيل بن المعتصم. دخلت المغرب ضمن الدول المحالفة والمنافسة للدول الأوروبية حيث امتد نفوذها لحوض السنغال. ولدت هذه الانتصارات التي حققها المغاربة في معركة واد المخازن مغربا منفتحا على العالم الخارجي

[1]-**أبو فارس عبد العزيز الفشتالي**: بدأ حياته ككاتب في ديوان إنشاء المنصور، وقد أصبح وزير القلم الأعلى كما يقول ابن القاضي، وقد قام بتدوين أخبار الدولة السعدية منذ نشأتها في مطلع القرن السادس عشر وسماه مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء. ينظر: شوقي عطاالله الجمل: مرجع سابق، ص181.

[2]-**أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني** ، صاحب كاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وريرها لسان الدين الخطيب، فرغ سنة 1628م بالقاهرة وطبع في أربعة أجزاء بولاق 1862م. ينظر : شوقي عطاالله الجمل: المرجع نفسه، ص 181.

[3]-**أبو العباس أحمد ابن القاضي**: هو أحمد بن محمد ابن أبي العافية المعروف بابن القاضي كتب عدة تراجم عن المنصور الذهبي ويعتبر من المقربين له، افتداه المنصور لما تعرض للأسر من طرف القراصنة. ينظر: أحمد ابن محمد المقري: روضة الاس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من إعلام مراكش وفاس، ص 239.

رشيدا في دبلوماسيته،حيث أصبحت الملكة البريطانية اليزابيت تعرض على المنصور السعدي اشتراك الجيش المغربي مع الجيش البريطاني في الاستيلاء على أمريكة من بعد ما عرضت عليه هذه المشاركة في غزو إسبانيا نفسها.

2-بالنسبة للبرتغاليين:

حطمت معركة واد المخازن البرتغال حيث ضمتها إسبانيا إليها بسهولة وكان ذلك بعد عامين من المعركة سنة 1580م،حيثأصبح ملوك أوروبا يخططون ويحسبون ألف حساب في خططهم الدبلوماسية.

ومن الأسباب التي أدتإلى انهزام البرتغاليين في هذه المعركة هو رغبة و إصرار الملك البرتغالي الدون سبستيان على حوض هذه المعركة والقضاء على المغرب بالرغم من أنه تلقى المعارضة والتريث إلى أن يستعد لهذه الحملة لكنه ظل مصرا على خوضها، بالإضافة إلى قلة نشاط الجوسسة البرتغالية،بالإضافةإلى شدة الحرارة التي لم يتعود عليها الجيش البرتغالي لان المعركة كانت في فصل الصيف في شهر أوت .

أدت معركة واد المخازن إلى انقراض أسرة سبستيان وعدم وجود وريث للعرش لضم البرتغال إلى التاج الإسباني كما أصبحت ممتلكات البرتغال تحت النفوذ الإسباني، حيث افتقر الشعب البرتغالي وتدهورت أوضاعه الاقتصادية كما عرفت صراع طويل على العرش.

ظن البرتغاليين أن ملكهم الدون سبستيان لم يمت وأنه سوف يعود حيث كانوا يذكرونه في أشعارهم، وافتدى الكاردينال الريكي[1] جثمانه ونقله إلى سبتة وبقي هناك إلى وفاة الريكي ثم أخذه فليب الثاني من سبتة إلى لشبونة.

يقول لويس مارية: المؤرخ البرتغالي واصفا نتائج المعركة:"هو العصر النحس الذي بالغ في النحوسة الذي انتهت فيه مدة الصولة والظفر والنجاح، وانقضت فيه أيام العناية من البرتغال،وانطفأ مصباحهم بين الأجناس، وزال رونقهم[2]، وذهبت النخوة والقوة منهم وخلفها الفشل وانقطع الرخاء

---

[1]-**الريكي**:حكم البرتغال بعد مقتل سبستيان،الكاردينال الهرم الريكي الذي توفي سنة 1580م، فتنازع العرش طامعون عدة: فليب الثاني ملك إسبانيا خال الملك الراحل سبستيان ودوقة براغونتا، والدوق سابويا والرئيس ديركراتو الذي ينتمي إلى أسرة ابيس المالكة وانتصر فليب الثاني واقتنص العرش واعترف له مجمع الكورتيس المنعقد في Thomar سنة 1581م بذلك،علما أنه تزوج ملكة البرتغال أيضا.ينظر: الشيخ أبو العباس ابن خالد الناصري : مرجع سابق، ج 5، ص 92،85.

[2]-شوقي أبو خليل: مرجع سابق، ص 71.

واضمحل ابان الغنى والربح وذلك هو العصر الذي هلك فيه سبستيان في القصر الكبير من بلاد المغرب[1]."

3-بالنسبة للعالم الإسلامي:

فرح المسلمون بهذا الانتصار العظيم الذي اتخذ إلى حد ما طابعا دينيا فلولا انتصار المغرب في هذه المعركة لاعتمد البرتغال في سلوكهم سياسة التنصير قهرا، ومن غير المستبعد أن يوسعوا أطماعهم شرقا فيحتلوا بذلك المغربين الأوسطو الأدنى بالتعاون مع قوى أوروبية أخرى و إرغام الأتراك على الانسحاب من المنطقة.

ومما تقدم يمكن القول إن المغرب في معركة واد المخازن لم يواجه الجيوش البرتغالية وحدها بل كان يواجه حربا صليبية شارك فيها العالم الكاثوليكي بصفة عامة والعالم المسيحي بصفة خاصة وبهذا كانت ضربة قاضية للبرتغال حيث وضعت حدا للحملة الصليبية التي أرادت السيطرة على العالم الإسلامي، وشهد المغرب خلالها انتصارا عظيما وذلك كان راجعا لتضافر الجهود بالتنسيق بين القادة والجيوش، حيث أدت هذه المعركة إلى ت أمين حدود دولة الإسلام من ناحية الغرب وسقوط نجم نصارى البرتغال في عالم البحار وضعفت شوكتهم واضطربت دولتهم.

[1]-شوقي أبو خليل: مرجع سابق،ص 71.

الفصل الثاني:تطور الدولة السعدية في ظل حكم السلطان أحمد المنصور الذهبي.

المبحث الأول:شخصية أحمد المنصور.

المبحث الثاني:تنظيمات وإنجازات أحمد المنصور.

المبحث الثالث:غزو أحمد المنصور للسودان الغربي.

عرف المغرب خلال فترة أحمد المنصور أزهى العصور حيث اكتملت خلاله تنظيمات الدولة وقوي نفوذها واتسع ليشمل جميع مناطق المغرب وأجزائها من إفريقيا الغربية، كما ازدادت هيبتها على الصعيد الدولي، فبفضل السياسة الخارجية التي نهجها المنصور الشيء الذي كان له دور كبير في استقرار الأوضاع الاجتماعية المغاربية، وانفتاح المغرب على تيارات حضارية مختلفة وانتعاش الحياة الاقتصادية والفكرية انتعاشا كبيرا خلال النصف الثاني من القرن 16م، ونظرا لازدياد الخطر العثماني من جهة الشرق ارتكز تفكير المنصور من جهة الجنوب على السودان الغربي، ونتيجة لاضطراب الأوضاع الداخلية لمملكة سنغاي، عمل المنصور على تحقيق رغبته التوسعية نحو الجنوب. فمن هو أحمد المنصور الذهبي؟ وماهي التنظيمات التي أرساها على المغرب ؟وماهي الأسباب التي دفعته لغزو السودان الغربي ؟

المبحث الأول: شخصية أحمد المنصور الذهبي.

يعتبر أحمد المنصور من أبرز شخصيات الدولة السعدية،حيث كان له دور كبير في سير الأحداث خاصة في الجانب السياسي للدولة، إذ عرف المغرب في عهده مرحلة قوة وازدهار.

1-مولده ونشأته:

هو أحمد ابن أبي عبد الله الشيخ محمد المهدي ولد بفاس سنة 956هـ من أم تدعى مسعودة[1] بنت الشيخ أبي العباس احمد ابن عبد الله الوزكيتي التي تبوأت مكانة سامية بقلوب المراكشيين لما قدمته من إنجازات نذكر منها:

المسجد الكبير الذي خصصت له الكثير من الأوقاف لمساعدة المحسنين [2] كان أصغر إخوته صاحب ذكاء وفطنة " وكان جميل الصورة، طويل القامة أسود الشعر، واسع المنكبين، يميل لونه إلى الصفرة"وتوفيأمه رحمت الله عليها يوم الثلاثاء السادس والعشرين من صفر في متم الألف [3]ذكر في المنتقى أن المنصور مرض مرضا شديدا في صفره فرات امه في المنام شخص يقول لها أزريه الشيخ أبا ميمونة وبعد زيارته له شفي من مرضه، فقد تميز بالطيبة والشجاعة والإقدام وحسن التبصر وسعة الخبرة والإنصاف، ونشأ في عفاف وصيانة[4] فقد كانت مخايل الخلافة لائحة عليه منذ صغره إلىأن تم

1-إبراهيم حركات:مرجع سابق، ص 296 .

2- نفسه، ص 298.

3-محمد الصغير الأفراني: مصدر سابق، ص 146 .

4-أبو العباس أحمد ابن خالد الناصري :مرجع سابق، ج5، ص89.

أمره حيث قال:الشيخ أبو فارس عبد العزيز الفشتالي: لما أخذ المهدي البيعة لولده السلطان الغالب بالله كما تقدم استقدامه من فاس و أوصاه بالمنصور جدا، وقال له: إن الفائدة فيه، أو كما قال: وهكذا كان ينبه على أنه واسطة عقد أولاده،كان المنصور رحمه الله يحدث أنه رأى أن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام و أنواره تشرق، قال: فوقع في نفسي أن أسأله عن نصيبي من الخلافة فكاشفني عليه الصلاة السلام بما في خاطري، أجابني بما حقق لي نيلها، ثم أشار لي بأصابعه الثلاثة الشريفة ضاما الإبهام منها إلى السبابة والوسطى وقال: أمير المؤمنين"[1] فقد كان رحمه الله ظريف المنتزع، لطيف الشمائل، كما اهتم بالعلم والأدب حيث ألف كتابا في السياسة [2] ومن أساتذته في النحو ومواد اللغة: أبو العباس أحمد بن قاسم الأندلسي وأبو مالك الحميدي ومحمد الحارثي ،واخذ الفقه عن أبي عمران السوسي وعبد العزيز بن إبراهيم الدمناتي وأحمد بن علي المنجور، والحديث عن أبي نعيم رضوان الجنوي كما كان يفرض الشعر ويتذوق فنونه وكان يجمع بين علوم كثيرة.[3]

درس في اكثر من مركز علمي بتارودانت ومراكش ودرس الهندسة مباشرة من كتاب اقليدس ومن أهم مؤلفاته: المعارف في كل ما تحتاج الخلايف، و مؤلف في معالجة الحديث النبوي،و إنتاج أدبي شعري واشتهر أحمد المنصور بحزمه وتتبعه لأخبار رعيته[4] وكان له ملك عظيم حيث ترك الجهاد وأخذ الدولة[5].

2- بيعته وتوليه الخلافة:

تمت بيعة أحمد المنصور في غزوته العظيمة بوادي المخازن يوم الاثنين جمادى الأولى سنة ست وثمانين، ابتدأت بيعته الشريفة بمدينة فاس وكانت غزوة عظيمة حظرها الكثير من المسلمين حتى شبهت بغزوة بدر " وكثيرا مامدح الناس هذه الغزوة وشاع أمرها في أقطار البلاد وفشاء ذكرها في ألسنة العباد وأتته الخلافة منقادة إليه ومقتصرة عليه"[6].

1-أبو العباس أحمد ابن خالد الناصري :مرجع سابق ، ج5 ، ص 90 .

2-محمد الأمين محمد: مرجع سابق، ص 189 .

3-إبراهيم حركات: مرجع سابق، ص 296 .

4- نفسه، ص 296 .

5-المؤلف مجهول:مصدر سابق، ص 63.

6-دلندة الأرقش: مرجع سابق، 74.

ثم جددت بيعته بمدينة فاس التي توافد عليه فيها اعيانها واعيان مراكش وغيرها، بعد عشرة أيام من قدومه إليها كما أن المنصور ذهب لفاس قبل مراكش خشية أن تحدث بها ثورة ضده [1] فبايعه الناس مبتهجين وتلقب بالمنصور وكان حاكما عظيما كبير الهمة، بصيرا في شؤون السياسة [2]، وأول مابدأ به بعد بيعته أن الجيش طلبوا منه أرزاقهم فطالبهم هو بخمس الغنيمة لأنه اعتبرهم نهبوها ولم يقتصموها على الوجه الشرعي[3]، ثم كتب للدول الخارجية ليعرفهم بما أنعم الله عليه من إظهار الدين وهلاك المسيحية فأخذ الكل يدخل في طاعته [4] وقدموا إليه من أوروبا والبلاد الإسلامية لتهنئته وتقديم الهدايا له لتوليه الخلافة [5] وكان أول الوفود من أقرب الأقطار من الجزائر [6]، ومن بين أهم الهدايا التي قدمت له هدية اسبنيول صاحبة قشتالة وهي اليواقيت الكبار التي انتزعها الطاغية من تاج آبائه، وصندوق مملوء من الدر الفاخر، قضيب الزمرد وغيرها، وهدية طاغية البرتغال الريكي ثلاثمائة ألف دكات من ريال الفضة بالإضافةإلى الأثاث، وأرسل السلطان مراد العثماني سيف محلي[7].

وعندما اطم أن المنصور بالحكم وطاب المقام وتم القرار، أصابه المرض في جمادى الأولى سنة 987هـ حيث طال مرضه وأصبح مخوفا، حتى عادت الأمور تختل ثم شفاه الله على يد الحكيم الماهر أبي عبد الله محمد الطيب[8].

3- نسبه:

يعود أصل المولى أحمد المنصور إلى إشراف سلجماسة وأصلهم من ينبع [9]النخل من أرض الحجاز فهو من إشراف ولد محمد النفس الزكية رضي الله عنه، و إليه كان يرفع السعديين نسبهم فهو

1-ابراهيم حركات: مرجع سابق، ص 294 .

2-شوقي ضيف: الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الاقصى، موريتانيا، السودان د) دار المعارف،ط1، القاهرة، دت ط، ص 293 .

3-محمد الصغير الأفراني: مصدر سابق، ص 81 .

4-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:مرجعسابق ، ج 5 ،910 .

5-ابراهيم حركات: مرجع سابق، ص 297 .

6-شوقي أبو خليل: مرجعسابق، ص 70 .

7-أبي العباس أحمد بن خالد الناصري :مرجعسابق، ج 5، ص 92 .

8-ابو العباس بن خالد الناصري: المرجع نفسه، ج 2، ص 288 .

9-**ينبع**: هي مجموعة قرى بأرض الحجاز، وهي موطن شرفاء بني علي كرم الله وجهه. ينظر: هامش أبو القاسم الزياني:تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالمملكة المغربية، 1429هـ / 2008 م، ص72.

"أبوالعباس أحمد أمير المؤمنين المنصور أبي مولانا الإمام أمير المؤمنين، أبي عبد الله المهدي ابن مولانا أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله تعالى ابن أبي زيدان"[1] عبد الرحمان بن علي بن مخلوف بن زيدان بن أحمد بن محمد بن أبي قاسم بن محمد بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المفتى بن حسن البسط بن علي بن أبي طالبرضي الله عنهم"[2] وسبب قدومهم من الحجاز إلى المغرب أن أهل درعة كانت ثمارهم لا تصلح، فقيل لهم إن أهل سلجماسة أتوا بشريف إلى بلادهم فصلحت ثمارهم، فلو أتيتم أنتم أيضا بشريف سوف تصلح ثماركم مثلهم، فأتى أهل درعة بالمولى زيدان بن أحمد فعادت عليهم بركته[3].

وبالرغم من النسب الشريف المعروف عند العامة وما كتبوه في مؤلفاتهم إلا أن هناك من يطعن في نسبهم الشريف ورفضه حيث قيل أنهم من بني سعد بكر بن هوازن الذي منهم حليمة السعدية وهناك من يقول أنهم سميو بذلك لأن الناس سعدو ا بهم، وهناك من يقول أنه ينتمي إلى أبناءالعباس ينعبد المطلب لكن هذا النقل ضعيف لأن الشيخ المقري صرح في نفح الطيب بشرف هؤلاء السادة فالذي يطعن في نسبهم لعدم وضوحه، لكن لايلزم من عدم وضوحه عدم ثبوته، ونصفهم نحن بذلك لأنهم اشتهروا به عند العامة[4].

1-جلول بن قومار : علاقات المغرب الأقصى السياسية والدبلوماسية مع دول ضفتي غرب المتوسط في عهد أحمد المنصور السعدي وإسماعيل العلوي (1578-1603/1672-1727)م،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم،في التاريخ الحديث،قسم العلوم الإنسانية،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،جامعة غرداية، الجزائر، ص 22 .

2أبي العباس أحمد بن خالد الناصري: مرجع سابق، ج2، ص 221 .

نفسه،ج 3، ص221 .

4نفسه،ج3، ص ص222 ،223 .

المبحث الثاني: تنظيمات وإنجازات أحمد المنصور.

شهد المغرب في عهد احمد المنصور تنظيمات و إنجازات سياسية وإدارية واقتصادية وعمرانية إضافة إلى تنظيم الجيش وتطوره ما أدى إلى ازدهار وتطور المغرب، ومن بين هذه التنظيمات نذكر:

1-إنجازاته السياسية والإدارية:

تميز الميدان السياسي في عهد احمد المنصور بكثرة نشاط الصلحاء وممارسة نشاطهم الروحي كما أحدث احمد المنصور عادات خاصة مثل: الاحتفال بالمولد النبوي الشريف حيث كانوا يقومون بجولة طويلة بالمدينة وهم حاملين الشموع، فكان هذا الاحتفال فرصة لإجماع الصلحاء والأولياء من مختلف بقاع المغرب، فقد كانت السلطة السياسية في عهده تتكون من:[1]

أولا: الحكومة المركزية في مقدمتها البلاط المنصوري[2] والذي يمثل الادارة المركزية والسلطة العليا[3].

ثانيا: الهيئة المسؤولة كانت تتكون من رجال سياسيين وقادة عسكريين منهم الحاجب[4].

وكاتب السر[5]وأصحاب المشورة[6] وصاحب المظالم[7].

أما الجهاز الإداري في عهده كان يقوم على نظام المخزن، حيث قام بتعيين القواد لدى القبائل وخصص البعض منها لخدمة الجيش، وكانت هذه القبائل تتولى جمع الضرائب من القبائل الأخرىو

1-إبراهيم حركات،مرجع سابق، ص 309.

2-**البلاط المنصوري**: هو مقر الحاكم ودواوين أعضاء الحكومة والكتاب، وبه تنعقد الجلسات الخاصة مع المسئولين وكبار المستشارين. ينظر: عبد الكريم كريم، المرجع السابق،ص229 .

3-عبد الكريم كريم، المرجع نفسه، 229 .

4-**الحاجب**: هو المسؤول الأول في حكومة المنصور (حاجب الإمام ةالكريمة وكبير الدولة الصدر القائد أبو محمد عزوزابن سعيد بن منصور الوزكيتي) والواسطة بينه وبين بقية الوزراء، والكتاب وهو موضع ثقة المنصور . ينظر: عبد الكريم كريم ، المرجع نفسه، 230.

5-**كاتب السر**: هو الذي يحافظ على سر الدولة حتى لايطلع عليه الأجانب و إن كانوا أحب من كل حبيب و أقرب من كل قريب ويؤمن الاتصال بين الخليفة وجميع الولايات ومن الولاة إلى الخليفة، وهو الذي يتولى قراءتها ويعرفهم مضمنها . ينظر: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، 230 .

6-**أصحاب المشورة**: هي الهيئة الاستشارية التي تتكون من طبقات الأجناد وذوي الحل والربط و أولى البصيرة والحنكة وخبرة الأمور. ينظر: عبد الكريم كريم، المرجع نفسه، ص230 .

7-**صاحب المظالم**: هو الذي يتلقى الشكاوى من المظلومين يرفعها إلى المنصور للبث فيها، وغالبا ماكان الخليفة ينظر فيها بعد صلاة يوم الجمعة. ينظر: عبد الكريم كريم، المرجع نفسه، ص 230 .

أطلقعليها تسمية قبائل المخزن [1]، فه ي عكس قبائل السيبة [2]، فالسلاطين كانوا يخرجون في حركة في حملة تتكون من بعض قبائل المخزن يجمعون الضرائب من قبائل السيبة ثم تعود إلى أماكنها المخصصة لها وكانت ذات أصل عربي ومراعيها ذات أوقاف، كما اشتهرت بالخدمة في الجيش مثل الشراردة لكنها في الكثير من الأحيان كانت تترك خلفها دمارا[3] .

أما بالنسبة لحكومته كانت تتألف من وزراء ذوي ثقافة عالية بالإضافةإلى مساعدين مكلفين بالكتابة الخاصة أو القيام بسفارات مؤقتة، ومن بين وزرائه فارس عبد العزيز المزوار، ومن كتابه أبو عبد الله بن عيسى ومحمد بن عمر الشاوي وعلي بن أحمد الشامي[4].

كما تميز عصره بسيادة النظام والحزم، وحسن الضبط فيما يخص الدولة والرعية حيث ركز اهتمامه على أحوال رعيته وعماله وتفقد جهات ممالكه فقد كان يخاطب عماله بطريقة تشبه الشفرة حتى إذا اتلف الكتاب أو ضاع في يد عدوه يصعب عليه الاطلاع عليه [5]، وكان أحمد المنصور إداريا إداريا ممتازا حيث جمع بين التقاليد المغربية والتأثيرات التركية، فالأتراك والعلوج[6] شغلوا مناصب كبيرة في المخزن والجيش و بالرغم من ازدياد التأثير التركي في المخزن والجيش واللباس إلا أن المخزن السعدي ظل مخزنا مغربيا تقليديا [7] وقد كان ينظم وقته تنظيما دقيقا فهناك أيام للديوان [8]، وقد نسب ولي عهده الأمير أبي عبد الله محمد الشيخ المأمون بالله في بعض المهام و أخاه أبا فارس عند غياب شقيقه فقد كانت مملكته تسير على قوانين الشرع ومناهج السنة وأبعد عن البدع والمناكر فقد كان

1-**قبائل المخزن**: للدلالة على الحكومة في مراكش في عهد الموحدين، إن مهمة الحكومة هي جمع المال في نظر أهل العصر. ينظر: صلاح العقاد:مرجعسابق، ص 54.

2-**قبائل السيبة**: هي تحريف عن كلمة سائبة وهي لاتخضع لي السلطة المركزية خضوعا مباشرا. ينظر: صلاح العقاد: المرجع نفسه، ص 54 .

3-صلاح العقاد: المرجع نفسه، ص 54.

4-ابراهيم حركات: مرجع سابق، ص 297 .

5-شوقي عطاالله الجمل: مرجع سابق، ص 191 .

6-**العلوج** :وهم على العموم اسرى مسيحيون من أوروبا يدخلون غالبا في دين الإسلام، يطلق عليهم اسم المهتدون. ينظر: جلول بن قومار: مرجع سابق، ص 27.

7-محمود علي عامر، مرجع سابق، ص 58 .

8- **أيام الديوان**: هي الأيام التي يجلس فيها الجمهور والوفود ليتناول أمور الدولة وخصص لذلك أيام: السبت والاثنين والأربعاء. ينظر: شوقي عطاالله الجمل: مرجع سابق، ص 191 .

حريصا على المحافظة على حدود الشريعة حيث كان أشد الخلفاء انقياد للشرع [1].أما باقي الأقاليم عين عليها أبناءه وكانوا يتمتعون بصلاحيات مطلقة [2]وكان أحمد المنصور هو أول من وضع نظاما ثابتا للحكومة المغربية على أساس تعيين القياد للقبائل ويعطيهم امتيازات معينة حتى يتمكن من السيطرة على بقية الإقليم وكان قياد هذه القبائل مكلفون بحفظ الأمن والاستبانة داخل مناطقهم [3] كما كان يحاسب وزراءه وكبار موظفيه عند التأخر في الرد وعدم المحافظة على أوقات العمل، بالإضافةإلى فصله للسلطة القضائية عن التنفيذية حيث تمتع القضاء المغربي في عهده بسمعة رفيعة عبر التاريخ الإسلامي، وأوجد منصبا خصصه لقاضي القضاة للسودان بسبب بعدها عن عاصمة مراكش، وأقام محطات عديدة في البلاد تحت حماية الحراس لاتساع رقعة البلاد [4]، أما المناطق النائية كالسودان جعلها باشوية وولى عليها قادة عسكريين حمل كل منهم اسم الباشا واتخذت بذلك طابعا عسكريا[5].

2- إنجازاته الاقتصادية والعمرانية:

من بين الإنجازات التي قام بها المولى احمد المنصور في المجال الاقتصادي، تحويل ضريبة النائية إلى ضريبة نقدية، وأقر الخراج كما كثر الذهب بخزانته حيث أصبح التجار الأجانب يتنافسون على تهريب، وأصبحت العملة الفضية قليلة التعامل، فقد كان أحمد المنصور لا يترك أي فرصة لملء خزانته حيث ذهب إلى احتكار صناعة السكر التي عرفت نشاطا واسعا، كما عرفت فترته كثرت نشاط الحركة العمرانية لتعمير المناطق المهجورة والمدن المخربة ومن أهم هذه البناءات قصر البديع بمراكش[6]ويقال أنه كان اعظم قصر بني في عهد السعديين [7] لما احتواه من روعة الهندسة والفن[8]،وكان سبب بناءه للبديع لتشريف أهل البيت ولتكون لهم م أثرة وشفوف على دولة البرابرة

1-شوقي عطاالله الجمل: المرجع نفسه، ص 192 .

2- عبد الكريم كريم: مرجع سابق ، ص 234 .

3-جلال يحي: المغرب الكبير، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط ، د ب ن ، د ت ، ص 40 .

4- شوقي أبو خليل: مرجع سابق، ص ص42، 42 .

5-عبد الكريم كريم:مرجع سابق، ص 236 .

6-إبراهيم حركات: مرجع سابق، ص 274 .

7-**السعديين**: ينتمون إلى أسرة سعدية عربية كما هو مؤكد لدى من أرخ لهم ، وانتقل أوائلهم من ينبع بالحجاز إلى درعة بالمغرب واستوطنوا في تكدمارت في المائة السادسة الهجرية. ينظر: عمار بن خروف :مرجع سابق، ص 50 .

8-محمد الأمين محمد، مرجع سابق، ص 199 .

من المرابطين والموحدين[1]، فقد تم تشييده سنة 986هـ واستمر العمل حتى 1002هـ حيث استغرق 15 عاما، وحشد له المنصور أهم الصناع من مختلف أنحاء العالم وجلب له الرخام من الروم وشيد البناء على شكل مربع وفي كل جهة قبة وفي كل قبة قباب أخرى واستخدم فيه الرخام وعلى رأس كل رخامة طلي الذهب وفرش أرضه بالرخام أما سقوفه فتجسم فيها الذهب والجدران كذلك طليت بالذهب ولما أكملوا العمل صنع مهرجانا عظيما احتفالا به، وقد ظل هذا البديع شامخا 117 سنة وخرب في عهد السلطان المولى إسماعيل سنة 1119هـ[2]، وبالإضافةإلى بناء البديع قام بتنشيط حركة المواصلات، كما أحدث مصانع جديدة للسكر وبنى أكبر قسم من مقبرة السعديين بمراكش وعددا من الحصون والمعاهل بمدن مختلفة [3]. منها حصن الباستيون الذي أنشأه سنة 990هـ وحصنين بثغر العرائش كما جدد بناء سد واد فاس الذي هدمه السيل سنة 1009هـ بالإضافةإلى تقوية الجسور في آسفي وازمور، واشتهرت مشاريعه الاقتصادية بتجارة السكر في مراكش حيث اصبح يصدر إلى البلاد الأوروبية لمبادلته بالرخام وغيره من المبادلات التجارية [4]، كما بعث الحصة العظيمة التي وضعت تحت منار جامع القرويين وقيل إن فيها مائة قنطار [5]، وهذه المظاهر كانت باهظة التكاليف حيث قام بسد هذه النفقات من افتكاك الأسرى وغنائم واد المخازن الضخمة، وموارد القرصنة الوفيرة واحتكار بعض الصناعات كالملح والسكر[6].

بالرغم من الازدهار الرخاء الذي عرفه المغرب في فترة احمد المنصور الذهبي [7] وبالرغم من القيمة النقدية التي اكتسبها المغرب في عهده إلاأن سكان المغرب عرفوا نوع من الغلاء المفرط نتيجة لارتفاع الضرائب وكثرتها حتى قيل أنهم رحبوا بثورة الناصر وآزروها بسرعة تخلصا من الضغط الذي عاشوه في الميدان الاقتصادي[8].

1-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : مرجع سابق، ج 5،ص 143.

2-شوقي عطاالله الجمل: مرجع سابق، ص 193 .

3-إبراهيم حركات: مرجع سابق، ص 274 .

4-شوقي عطاالله الجمل :مرجع سابق ، ص 194 .

5-محمد الصغير الأفراني:مصدر سابق، ص 160 .

6-إبراهيم حركات:مرجع سابق، ص 39.

7-**لقب أحمد المنصور بالذهبي**: لأنه سك العملة الذهبية بكثرة بعد موقعة واد المخازن التي در فيها انتصاره على الخزينة أموالا طائلة من افتداء الأسرى. ينظر: شوقي أبو خليل : مرجع سابق، ص 39 .

8-إبراهيم حركات: مرجع سابق، ص 310 .

3- تنظيمه للجيش:

اهتم المولى احمد المنصور بتنظيم الجيش المغربي كما أعده أحسن إعداد للقيام بالمهام الخطيرة[1] حيث نظمه وفق نظام الجيش التركي وجعله مزيج من مختلف الجنسيات، من الأندلسيين والزنوج ومن الأتراك اللاجئين والعلوج ومن مسيحي أوروبا وخصص لهم من يدربهم حسب النظام المغربي والتركي[2] ومن أشهرهم مصطفى قائد الاصباحية مهمتهم حراسة السلطان والباشا محمود هو صاحب خزائن الدار والقائد علوج قائد جيش العلوج والباشا جؤذر فاتح السودان وهو قائد جيش الأندلس ومنهم قائد جيش السوس، وقد كان الجيش المغربي مقسم إلى قسمين:

الحرس الملكي: مهمته مرافقة السلطان في ترحاله والسهر على سلامته[3].

الجيش المحارب: مهمته القتال، فالمنصور اصطبغ الكثير من النظم التي كانت سائدة في الجيش التركي والإدارة وطبقها على دولته وركز على سيادة النظام حيث كان صارما في ذلك [4]، حيث حظي الجيش في عهده بكفاءة عسكرية عالية متكونة من عدد من التقنيين المتخصصين كالتجارة والحدادة والبناء وجراحين وحلاقين وأطباء ونقالين، أما الأسلحة كانت عبارة عن بنادق ومدافع ومتفجرات وقام ببناء دار للعدة لصناعة المدافع بالإضافةإلى السفن التي بنيت في نهر النيجر، وبذلك تميز الجيش بكفاءة ممتازة في ممارسة مهامه العسكرية[5] مثل أهل الأندلس فقد كان لهم جيش عظيم منهم جيش جيش السوس وأكابر العلوج، والطائفة الثانية بختيار وبغا ثم جيش العجم المتكون من الأتراك والعلوج وكان مقسمإلىأقسام منها[6]:

1-شوقي عطاالله الجمل:مرجع سابق ، ص 190 .

2-محمود السيد : تاريخ دولة المغرب العربي ، (ليبيا، تونس ، الجزائر، المغرب، موريتانيا)،مؤسسة شباب الجامعة ، دط، الإسكندرية، د ت ن ، ص 241 .

3-شوقي عطاالله الجمل، المرجع السابق ، ص 190 .

4 نفسه، ص 190 .

5شوقي أبو خليل :مرجعسابق ، ص 44 .

6أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:مرجع سابق، ج 5، ص 163.

البياك[1] والسلاق [2]،والبلبلدروش[3]والشنشرية[4]والقبجية[5]والشواش[6]،حيث قال الفشتالي: سيرة المنصور في ترتيب جيوشه:"وهذا مما زادت به دولته على سائر الدول، فإذا خرج في عيد أو ملاقاة أو تهنئة خرجوا متزينين وكل قائد عند مبدأ انبعاث حبل جيشه تحت أولوية محفوفا بجيش من رؤساء جنده، وكل يعرف مركزه ورتبته لا يتعداه إلى غيره بتقدم أوتأخر ولايجد السبيل إلى ذلك إذا أراده"[7]. أراده"[7].

وعلاوة على ذلك قام بتنظيم القوات العسكرية واستخدم فيها المحاربين السود وهم عبارة عن أسرى وعبيد الذين كانوا يمثلون قوة آدمية تباع وتشرى، تم الحصول عليهم نتيجة حملته على السودان و بعد هؤلاء السود عن بلادهم جعلهم يزيدون من ارتباطهم بالسلطان الذين كانوا لا يعرفون سواه[8].

فجيش أحمد المنصور كان مخالف لجيش أخيه الذي كان ذا نظام تركي محض وهكذا أرضى المغاربة الذين كرهوا أن تلغى تقاليدهم الخاصة نهائيا، باعتماده على نظام الجيش التركي والمغربي معا[9]، كما استتب الأمن في المغرب في عهده، وبعض الأقاليم في الصحراء كانت خارجة عن طاعته

1-**البياك**: هم أهل القلانس الصفرية الذهبية ذاوات الأعراف من ريش النعام الملون، يقفون مسمطين أمام قبته أو فسطاطة. ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع نفسه، ج 5، 13 .

2-**السلاق** :أهل القلانس الطويلة البيض المرسلة على المناكب ويناط بها من أعلى الجباه جعاب صفر مذهبة ويضيفون إليها وقت الحزام أجنحة طوالا يؤلفونها أيضا من ريش النعام ويقف هؤلاء خلف البياك. ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع نفسه، ج 5، ص 136 .

3-البلدبلدروش: هم أهل اللقاقيف وهي رماح قصيرة غليظة العصى مغشاة بالحديد ومرصعة بالمسامير البيض ركبت عليها أسنة عظام وزجاج ، ويقف هؤلاء خلف السلاق. ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع نفسه، ج 5، ص163 .

4-**الشنشرية**: هم أهل الطعام وضعا ورفعا لاغير وقائدهم بختيار. ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري :المرجع نفسه، ج 5، ص 163.

5-**القبجية** : هم أهل حفظ الأبواب وغلقها وفتحها وقائدهم ملودالمشاوري، وطائفة من هؤلاء تحرس ليلا وتطوف على السور المحيط بالدوار. ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع نفسه ،ج5 ، ص163 .

6-الشواش: هم الذين يتولون ضبط الجيوش في الحرب أو السلم وإتمام الكتب و الرسائل بخير أو شر. ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري :المرجع نفسه، ج 5، ص 163.

7-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:مرجع سابق، ج 5، ص164.

8-جلالي يحي،مرجع سابق، ص 41.

9- نفسه، ص 1.

طاعته كإقليم توات[1] وتيكوراين[2] فأرسلإليهما جيشا قويا ليعيدهم إلى طاعته واستولى عليهم سنة 1000هـ[3] وقمع كل الثورات التي قامت في ضده في المغرب، كما ان القواد والجيش كانوا ضمن حاشية المنصور والجنود عاصمة مراكش والباقي موزع بباقي المدن وفي القلاع والحصون، وكانوا يأخذون رواتبهم كل أربعة أشهر، وفي الحروب يأخذون تعويضات خاصة، فقوة هذا الجيش كانت بارزة في كل حروبه الداخلية والخارجية، ومن حسن تدبير المولى أحمد المنصور أنه جعل هذا الجيش تحت قيادة كبار القادة العسكريين و أمرهم بالمشورة بينهم قبل القدوم على الحرب، ففي الشمال في فاس أنشأ معقلات وقريعة وجعلها خزينة للدولة، وفي الغرب اقام عدة قواعد بحرية وبالإضافةإلى القوات البرية أنشأ الأسطول البحري حيث قام بتطيره[4]، وجعل مركز القيادة ثغر العرائش وأوكل أمره أمره لرجال البحر الريس إبراهيم الشط[5].

1-**توات**:هو واحة كبيرة بالجنوب الجزائري تضم عدة قرى وقصور، من أشهر مدنها تميمون وقرارة. ينظر: محمد الصالح حوتية: توات والأرواد، ج 2،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القبة الجزائر ، 2004، ج 1،ص 32. وينظر: مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981، ص 61 .

2-**تيكوراين**: معناها بالبربرية المعسكرات. ينظر: هامش رقم 39، الحسن ابن الوزان الفاسي، ج2، ص 133.

3-محمد الامين محمد: مرجع سابق ، ص 198 .

4-عبد الكريم كريم: مرجع سابق ، ص 243.

5-محمود علي عامر:مرجع سابق، ص 58 .

المبحث الثالث: غزو احمد المنصور للسودان الغربي[1].

تعددت العوامل والأسباب التي أدت بالمولى احمد المنصور لغزو السودان الغربي وهي تتراوح بين عوامل سياسية واقتصادية ودينية نذكر منها:

1-أسباب غزو احمد المنصور لبلاد السودان الغربي: أهم سبب دفع بـأحمد المنصور لغزو السودان هو:

أ-الجهاد الديني:

الجهاد ضد الاحتلال البرتغالي وكان كرد فعل ضد سقوط الأندلس وأيضا الوجود الأجنبي والمستعمرات البرتغالية اتجاه ساحل السنغال والتمركز الإسباني في جزر الكناري، الجهاد كان يحمل خطرا لاحتلالها بالإضافةإلى توفر المغرب على قواعد الانطلاق نحو السودان في كل من توات وتيكوراين[2].

واستولى الإسبانعلى جزيرةتمبكتو حيث أصبحوا يتاجرون منها مع المناطق المجاورة، الأمر الذي دفع بالمنصور إلى التدخل العسكري في السودان لقطع الطريق على الإسبان [3]. نشر الدين الإسلامي وإقامة رباط معنوي من أجل زيادة ترابط المعاملات التجارية تحت سلطة واحدة [4]، وتوحيد المسلمين في غربي إفريقيا وتوحيد قواهم للوقوف صفا واحدا أمام التهجمات الأوروبية الخارجية[5].

ب- عامل التوسع السياسي:

كان أحمد المنصور يعتبر نفسه أنه يستمد سلطة الخلافة من نسبه، وشجعه فتح تيكوراين وتوات إلى التمادي للسودان[6]، بالإضافةإلى ضخامة موارد السودان وإمكانية الوصول إليه من خلال

1-إقليم السودان الغربي: يحده شمالا الصحراء الكبرى ، وغربا المحيط الأطلسي وشرقا مرتفعات تشاد، ومن المماليك التي نش أت في بلاد السودان الغربي هي: غانا ومالي والسنغال، ويطلق شمال إفريقيا كلمة سوداني على أي فرد قادم من جنوب هذه الأقاليم. ينظر: فيصل محمد موسى: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مراجعة ميلاد المقرمي، منشورات الجامعة المفتوحة، 1997،ص ص 45، 46.

2- محمد رزوق: مرجع سابق،ص 106.

3-محمد رزوق: المرجع نفسه، ص 107 .

4- جلالي يحي: مرجع سابق، 42.

5-محمد رزوق: مرجع سابق ، ص 107.

6-إبراهيم حركات:مرجع سابق، ص 264 .

خلال الأقاليم الصحراوية توات وتيكوراين وبلاد الطوارق الساحلية التي تتوفر عليها المغرب، ومن أجل توحيد المسلمين للتصدي للهجمات الخارجية الذين كانوا يطمعون ببلاد السودان الغنية [1].

كما انتهز المنصور الخلاف الذي قام بين مملكة سنغاي [2] والمغاربة حول واحة تغاز [3] التي كانت تصدر لهم الملح مقابل التبر والعاج وريش النعام والعبيد وصمم على إرسال حملة للسيطرة على كل الأقاليم[4]، وتطلع المنصور إلى توسيع مملكته باعتباره أمير المؤمنين فرأى أن يبدأ بفتح توات وتيكوراين وتيكوراين لتأمين طرق الحملة إلى السودان[5].

ج–العامل الاقتصادي:

عرف أحمد المنصور بحبه لجمع الثروة وملاحظة للتجار المغاربة وهم حاملين الذهب من السودان وحقق لهم ذلك أرباحا كثيرة إضافةإلى منتجات أخرى كانت تباع للتجار الأوروبيين، وبهذا أصبحت تجارة السودان تجارة أساسية في دور التجارة المراكشية [6] لأن موارد المغرب غير كافية لتلبية حاجيات الدولة ما أدى إلى طمع المنصور في استغلال معادن الذهب التي تتوفر عليها السودان[7].ومن سبب هذه الصلات نشاط تجارة القوافل العاملة للمنسوجات والملح الذي كانوا يتبادلونه مع الذهب ثم تعود القوافل حاملة لريش النعام والعاج [8]، فعملية توسيع احمد المنصور عبر

1–عبد الكريم كريم:مرجع سابق ، 157 .

2– **مملكة سنغاي**: تأسست منذ القرن 7م حيث حكمتها عائلة ضياء الطرابلسية حتى سنة 1335م ، ثم انتقل الحكم إلى آل سي التي تنحدر من عائلة ضياء السابقة. ينظر : الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18م ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، 1998م ، ص 98 .

3–**تغاز**: تقع جنوب المغرب الأقسى بقرب البحر المحيط شرق الأقاليم الصنهاجية ، تتوسط الطريق الرئيسي بين تمبكت ودرعة بالمغرب وتعتبر المصدر الرئيسي لمعدن الملح . ينظر: عبد الله محمد ابن إبراهيماللواتي(ابن بطوطة): تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلته) ط 1، الدار البيضاء، المغرب، 2006،ص 257.

4–جلال يحي:مرجع سابق ، ص 43.

5–عبد الطيف محمد الصباغ : الصحراء في علاقات المغرب الدولية (1230–1975)، مذكرة ماجستير، التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ،كلية الآداب ، جامعة الزقازيق، ص 61 .

6–صلاح العقاد: المرجع السابق، ص 54 .

7–إبراهيم حركات:مرجع سابق، 264 .

8–صلاح العقاد:مرجع سابق ، ص 53.

الصحراء[1] والسودان لعدم تمكنه من التوسع شرقا كما أن صادرات السودان كانت مهمة في ذلك الوقت وكانت هذه الفترة هي فترة الذهب فكان لابد من سيطرة المغرب عليه خوفا من ان تقع في يد الاحتلال الأوروبي[2]. ولما استولى أحمد المنصور على بلاد توات وتيكوراين تاقت نفسه لغزو السودان السودان لكونها مجاورة لهم من أجل معدن الملاحة الكائن بتغازي[3].

د-العامل العسكري:

بالرغم من امتلاك المغرب لقوة عسكرية حديثة التنظيم والتسليح إلا أنه طمع في الحصول على مناجم السودان لتقوية الجيش المغربي عسكريا ضد إسبانيا، لكن يتبين ان المنصور قبل اللجوء إلى التدخل العسكري قام بإجراءات سلمية عن طريق معاهدة اقتصادية وسياسية [4]، بالإضافةإلى تفوق الجيش المغربي عسكريا على عكس السودانيين الذين لم تخرج قوتهم عن عساكر الخيل والفرسان الرامحة وعصائب الرمات الناشية[5].

ومن الأسباب التي أدت بالمولى أحمد المنصور إلى التعجيل بالتدخل العسكري في السودان:
من أجل قطع الطريق على الإسبان [6]، بالإضافةإلى طموح أحمد المنصور إلى إعادة فتح الأندلس ومحاولاته في الضغط على بريطانيا منأجل التعاون عسكريا ضد إسبانيا، وكان المنصور يريد الحصول على مناجم السودان الغربي لتقوية الجيش المغربي عسكريا ضد إسبانيا [7].

2- مجريات الحملة:

امرى المولى أحمد المنصور بتجهيز الجيش في 15 ذي القعدة سنة 998هـ ورحلوا من مراكش قاصدين بلاد السودان ومعهم عدد من الإبل [8]، حيث تألفت هذه الحملة من 20 ألف رجل من

1-**الصحراء:** تذكرها المصادر العربية بنسير أو سير ويصفها بن حوقل بأنها بين بلاد المغرب وبلاد السودان ببراري متقطعة قليلة المياه، متعذرة المراعي وان سلوكها غير ممكن لفرط البرد الذي يمنع من العمارة. ينظر: أبو عبيد الله البكري: المسالك والمماليك، 2ج، تحقيق اندريان فان اليوفن واندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م ، ج 1،ص ص 238 ،239 .

2-جلال يحي:مرجع سابق، ص 41.

3-محمد الصغير الأفراني: مصدر سابق، ص 159.

4-ابراهيم حركات: مرجع سابق، ص 264.

5-عبد الكريم كريم :مرجع سابق،ص 156.

6-عبد الكريم كريم:المرجع نفسه، ص 156.

7-إبراهيم حركات: مرجع سابق، ص 264 .

8-دلندة الأرقش: مرجع سابق، ص 78 .

الإسبان والأسرى[1] بالإضافة ألفين من البحرية والطبجية فأصبح المجموع 22 ألف كانوا يستخدمون المدافع والبارود بينما قبائل السودان كانت عبارة عن جماعات من الملثمين و أشياخ السحرة، وأرباب العزائم وكان سلاحهم الرماح والسيوف[2]، وكان جيش المنصور بقيادة جؤذر باشا[3] ثم نهضوا في زي زي عظيم وهيئة في الفاتح من سنة 999هـ، نهضوا من تانسيف مرورا بطريق الكلاوي ثم على درعة[4] ولما سمع السودان بقدومهم احتشد قبائل الملثمين المهادنين لهم حيث بلغ عددهم 100 ألف مقاتل بالإضافةإلىأربعة آلاف مقاتل وخرجوا من مدينة كاغوا ، ولما وصل الباشا جؤذر تقدم للحرب مع عساكره فدارت به عساكر السودان مع الإبل وكان سلاحهم الحرشان الصغار والرماح والسيوف فلم تكن عندهم المدافع التي عند الجيش المغربي [5]، وبدأ المغاربة المعركة بإطلاق النار على العدو وحشود السودان بإطلاق السهام على المغاربة[6]، ولما كان آخر النهار هب ريح النصر لصالح المغاربة وانهزم جيش السودان حتى أصبحوا يتأدون نحو المسلمون نحو إخوانهم في الدين والسيوف عاملة فيهم وتقدم جند جؤذر باشا يقتلون وينهبون ويسلبون كل وجه [7] حتى فنوا عن آخرهم ولحقت هزيمة منكرة بهم وهرب من بقي حيا وبقية جيش سنغاي فروها هاربين نحو نهر النيجر إلى جرمة[8] تاركين ورائهم موتاهم وغنائم كثيرة، والخوف أدىإلى غرق العديد منهم في النهر، ثم دخلها جؤذر باشا أخذ كل ما فيها من أموال ومتاع لكن قبل هذا كان الباشا جؤذر قد بعث لإسحاق

1-صلاح العقاد: مرجع سابق، ص 55 .

2-شوقي عطاالله الجمل: مرجع سابق، ص 187 .

3-**جؤذر باشا**: ذو أصل أندلسي من نواحي غرناطة انظم إلى الجيش اخيه محمود في عهد المنصور. ينظر: شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد هزالي والبشير بن سلامة، 2 ج، الدار التونسية للنشر، ج 2، أوت 1985، ص 275.

4-درعة: هي مدينة صغيرة من جنوبي المغرب تقع غرب مدينة سلجماسة بنحو سبعة مراحل (المرحلة هي مسافة سير يوم وليلة). ينظر: شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان، 5 ج، بيروت ، 1977م ج 2، ص 451 .

5-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : مرجع سابق، ج 5، ص 122 .

6-الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، جامعة قاريونس ، ط 2 ، تغازي ، 1988م ، ص 292

7-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:مرجع سابق ، ج 5 ، ص 122 .

8-الهادي أبو لقمة ، محمد الصغير :مرجع سابق ، ص 292 .

عشقية[1] برسالة يعرض عليه الاستسلام حقنا للدماء لكنه رفض ، وبعد انتصار جيش جؤذر باشا بعث للمنصور ليخبره بانتصاره مع هدية عظيمة فيها عشرة آلاف مثقال ذهبا ومئتان من الرقيق وغير ذلك[2].

وبعد هذا الانتصار دخل الباشا جؤذر مع جيشه لمدينة جاو حيث لقو ترحيبا من أهلها لكنهم لم يجدوا فيها إلا أكواخ الطين والقش حيث أنهم لم يجدوا أيأثرأو علامة تدل على الثروة العظيمة لكنهم وجدوا أشياء أخرى ذات أهمية منها مدفعا عليه شعار دولة البرتغال وتمثالا للعذراء وصليبا عليه المسيح مصلوبا[3].

وبعد أن فقد إسحاق عشقية عاصمته فتح باب المفاوضات مع جؤذر باشا وعرض عليه أن يتخلى على حق استرداد الملح والأصداف النقدية في السودان من أجل تحاشي الاحتلال العسكري الدائم لكن الباشا جؤذر رفض عرضه بسبب انتشار الأمراض في صفوف جيشه فلصبح يفكر فقط في العودة إلى بلاده وأرسل رسالة إلىإسحاق عشقية شدد فيها على متاعب رجاله في الصحراء وعلى المؤزق الذي هم فيه[4]. [5]تمبكت حيثولما احس إسحاق بورطة الغزاة نصح جؤذر باشا بالانسحاب بالانسحاب إلى مناخ الصحي الملائم وعرض عليه تسهيل المغادرة وتزويده بعدد كبير من الخيول فقبل جؤذر باشا بهذا العرض ودخل مدينة تمبكتو وهرب الكثير من أهلها إلى الصحراء خوفا منهم لكن البعض منهم بقي فيها واستقبلوهم أحسن استقبال، لكن الذين تحملوا نتيجة هذا الاستقبال هم تجار

1-**إسحاق عشقية**: تولى حكم مملكة سنغاي عام 950هـ /1543م وخلفه اسكيا داوود عام 956هـ/ 1549م ، واستمر في الحكم حتى عام 990هـ /1581م، فساءت العلاقات بينه وبين أحمد المنصور السعدي، فخلفه ابنه اسكيا الحاج محمد الثاني والذي عزله إخوته عن الحكم عام 995هـ 1583م . ينظر: محمود شاكر: التاريخ الإسلامي للعهد المملوكي، ط 5، المكتب الإسلامي ، 2000م ، بيروت، ج 7، ص 309 .

2-الحواس غربي : السيادة السعدية في البلاد السودانية ، (1660.1591م) (دراسة سياسية وعسكرية) مذكرة شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية، والاجتماعية،جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر ص 44.

3-الهادي أبو لقمة، محمد عزيز: مرجع سابق ، ص 293 .

4- صلاح العقاد: مرجع سابق ، ص 55 .

5-**تمبكت**: تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى ت أسست خلال القرن 11م ،على يد قبائل الطوارق أصبحت عاصمة لإمبراطورية مالي في النصف الثاني من القرن 12م ، ثم عاصمة لسنغاي خلال القرن 16م ، ثم عاصة للبشوات السعديين منذ 1591م .ينظر : البستاني بطرس : دائرة المعارف ، بيروت ، 1986م ، مج 6، مادة تنبكت، ص 210 .

غدامس[1] الأثرياء بسبب تهديم مستودعاتهم لتبقى مكانها قلعة أمر بإنشائها جؤذر باشا وعندما وصل خبر النصر في توندیبي [2]إلى المغرب[3]، قرر المنصور أن يخلف جؤذر باشا لأسباب خاصة وتعيين مكانه محمود بن رزقون [4] الذي قام بتحظير جيشه وذهب به إلى إسحاق عشقية على يد بعض القبائل التي يعتقد أنها كانت من الطوارق [5]السالبين، وبعد هذه الواقعة برر محمود غدره بأنه انتقام لجنوده 400 الذين ماتوا في الصحراء [6]ثم قام بتعيين واحدا من عائلة عشقية تجنبا للحكم العسكري ، وهذا القائد هو نوح الذي تمكن من الصمود في الميدان ورد العدو والتقى نوح مع محمود في مكان يسمى دندى[7] وكان الانتصار لصالح محمود وانسحب نوح إلى غابات بورجو[8] .

3- نتائج الحملة:

كان يوم النصر عيدا من الأعياد حيث أقيم فيه مهرجانا عظيما خرج فيه عامة الناس و أخرج فيه الصدقات واعتق الرقاب و أطعم المنصور الناس عدة أيام، فقد كان هذا الفتح معجزة من الله حيث لم يحظر ببال ملك ممن مضى مثل ماحظر ببال أحمد المنصور التوجه للسودان، ولما سمع محمود باشا بانتصار المنصور بعث له نصف جيشه مع بعش الذخائر التي لاتحصى فيها ألف ومئتان من

1-**تجار غدامس**: يقطنون في المنطقة الخلفية من إقليم طرابلس كانوا يشغلون خلال قرون عديدة مركزا بارزا في التجارة مع السودان الغربية حيث لديهم فيها حتى الآن بعض المستوطنات. ينظر : الهادي أبو لقمة، محمد عزيز: مرجع سابق، ص 296 .

2-**توندیبي**: تقع شمال عاصمة غاو بحوالي 30 كلم ، وقد وصف الاستاذ الهادي الدالي أرض المعركة بأنها منبسطة، تتخللها احراش يطل عليها من الجنوب جبل طويل ، بلغت مساحتها حوالي 2 كلم.ينظر: مولاي أحمد بابيرالأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكت البهية، تحقيق الهادي مبروك الدالي ، ط 1 ، ليبيا ، 2001م ، ص 204 .

3-الحواس غربي: مرجع سابق، ص ص 44 ، 45 .

4-**محمود بن رزقون**: أحد مماليك المخدوم ابي العباس المنصور ذا بسالة وشجاعة وحسن سياسة وفضل تربى بالقصر الملكي بمراكش منذ صغره ، مثل جؤذر باشا لكنه اكثر منه حزما ومغامرة. ينظر : أبي العباس بن محمد المكناسي (ابن القاضي): درة الحجال في أسماء الرجال، 4 ج ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ط 1،دار النصر للطباعة، تونس، 1970م، ج 1،ص 325 .

5-**الطوارق**:تسميتهم بالطوارق نسبة إلى طارق ابن زياد أو لطرقهم الصحراء والتوغل فيها ، ينتسبون إلى صنهاجة والتي منها لمتونة ومسوفة وجدالة يتوزعون على الصحراء ولا يستقرون وهم على دين الإسلام ويطلق عليهم اسم الملثمين. ينظر : محمد لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، صححه البشير الفوريتي، ط 1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، د ت ن ، ص ص 6 ، 8 .

6- الهادي أبو لقمة، محمد عزيز: مرجع سابق، 289 .

7-**دندى**: هي الموطن الأصلي للاسكيين تقع على بعد حوالي 700 كلم ، إلى الجنوب الشرقي من غاو، على طول الضفة الشرقية لنهر النيجر حيث تتصل بمنطقة الغابات الاستوائية كثيفة الأشجار.ينظر : الحواس غربي: مرجع سابق، ص 63 .

8-الهادي أبو لقمة، محمد عزيز: مرجع سابق، ص 290 .

الرقيق والجواري والغلمان و أربعون حملا من التبر و أربعة سروج ذهبا خالصا و أحمال كثيرة من اليانبور وقطوط غالية وغير ذلك، بالإضافة إلى وفود أخرى من كل ناحية مهنئينه بما منحه الله من الظفر والنصر ودخلت المماليك السودانية في طاعته.

ونتج عن حملة جؤذر باشا 30 جملا من الذهب وإيرادات جاو وتمبكتو بمئتي ألف جنيه فحملة السودان عادت له بغنائم وفيرة حيث أصبح يلقب بالذهبي، انتفع بها أحمد المنصور في تحصين ميناء العرائش وتطوير صناعة السكر في السوس.

واستطاع احمد المنصور أن ينمي اقتصاد المغرب من خلال الذهب الذي تحصل عليه من غزوه للسودان ، وبفضل هذا الذهب تكاثرت المنشآت العمرانية والصناعية كما نشطت الحركة التجارية مع الخارج .

ترتب عن الحملة تحطيم دولة سنغى التي ترتب عنها القضاء على اسكى نوح سنة 1593م وتفكك السودان ولم يستطع المراكشيون إن يبسطو نفوذهم فيه بسب عودة أجناس وقبائل متنافرة وانحصروا فقط في إقليم تمبكتو وعند منحنى النيجر.

أهمأثر هو قيام الحكومة المراكشية في حوض النيجر التي دامت مدة قرنين ، وظهور طبقة من المولودين نتجت عن تزاوج الجند المراكشيين مع نساء السودان.

وتعد هذه الحملة من الذكريات التاريخية للمغاربة للمطالبة بموريتانيا وبعض أجزاء السنغال ومالي في الستينات من هذا القرن.

وسع أحمد المنصور رقعة نفوذه حيث شملت نهر النيجر و أجزاء من الصحراء بالإضافة إلى مملكة بورجو.

جيوش أحمد المنصور كانت قاسية على المسلمين الأبرياء الغير التكافئيين.

السودان لم تستفد من خضوعها للدولة السعدية بل خلت تمبكتو، واقتبست من الجيش المغربي هندسة البناء في بنائها لقصبة تمبكتو، بالإضافة لنشر الإسلام بين القبائل الوثنية وانصهروا في أهلها عن طريق النسب.

استولاء الجيش المغربي على كل الأقاليم .

الاضطراب والمعارك أثر في الأمن والاستقرار والتجارة.

نشأت بذلك حكومة تعتمد على انتخاب الجنود لرئيسها.

أصبحت الدول الأوروبية تنظر إلى المغرب وكأنه يشتمل على مواد كبيرة من الذهب.

تلاشت علاقات التبعية لمراكش تدريجيا بعد عهد أحمد المنصور.

وتعد هذه الحملة من الذكريات التاريخية التي أثارها المغرب للمطالبة بموريتانيا وبعض أجزاء من أراضي السنغال ومالي في الستينات من هذا القرن.

حقق أحمد المنصور ما كان يرغب فيه من تنمية اقتصاد المغرب، و أحداث عملة ذهبية ثقيلة صارت لها تنمية وقيمة دولية حتى قيل أن أربع مائة وألف مطرقة كانت معدة باستمرار لضرب الدينار الذهبي في دار السكة بمراكش والذهب عم انتشاره في المغرب حتى أصبحت تصنع منه الأواني.

رفضت الدولة العثمانية مساعدة ملك بورنو لإخضاع بعض القبائل التي رغبت في الإطاحة بعرشه ولم تعتمد على العنف في الرد على السياسة التي سلكها أحمد المنصور في حملته.

ومن الآثار الاقتصادية التي اكتسبها السودان نتيجة الحملة هو إدخال الموازين والمكاييل والمقاييس إلى السودان على يد المغاربة وأدى ذلك إلى خضوع المعايير للدقة المطلوبة في ميدان التجارة والمعاملات الأخرى وإلى كبح الغش والتدليس و إسقاط الوساطات والمزايدات التي كانت إحدى عيوب التجارة السودانية القديمة.

ومما تقدم يمكن القول أنأحمد المنصور الذهبي أقام عدة إنجازات وتنظيمات ساهمت في ازدهار الدولة السعدية حيث تميزت بأزهى مراحلها التاريخية في هذا العهد وشهدت الانتصارات العظيمة والتفوق الواضح في مختلف المجالات وبذلك كان له أثر واضح ومكانة بارزة في تاريخ المغرب وحضارته.

الفصل الثالث: علاقة أحمد المنصور بالدولة العثمانية وإيالة الجزائر.

المبحث الأول: محاولة الدولة العثمانية احتواء المغرب.

المبحث الثاني: أسباب فشل حملة العلج علي على المغرب.

المبحث الثالث: علاقة أحمد المنصور مع إيالة الجزائر.

بعد انتهاء معركة واد المخازن بنصر عظيم للمغاربة، وعلى أثرها أعلن بوفاة عبد الملك بعد انتهاء المعركة سعى القادة الموالون للأ تراك العثمانيين من القادة الأندلسيين كمحمد رزقون وغيرهم من محاولة تولية إسماعيل بن عبد الملك ذي الأم التركية بذلا من عمه أحمد المنصور وأخذوا ينادونه بلحقية الأمير الصغير في الخلافة ، لكن معظم المغاربة عارضو توجه هؤلاء القادة ولم ير ضوا.وقاموا بتولية أحمد المنصور وأتموا بيعته.

وبعد هذه البيعة ارتبط أحمد المنصور السعدي عقب انتصاره في معركة واد المخازن سنة 1578 ضد البرتغاليين بعلاقات سياسية ودبلوماسية مع الدول المجاورة وخاصة الدولة العثمانية وإيالة الجزائر وحاول إن يكسب ثقة في نفسه ومهابة في نفوس خصومه ويتضح ذلك من خلال وفود السفراء التي جاءت لتهنئته بالنصر والملك على سواء وكان أول الوفود التي وصلت إيه حسب عبد العزيز الفشتالي هو وفد باشا الجزائر حسن فنزيانو وبعدها من الدول الغربية وبعدها رسل السلطان العثماني مراد الثالث.

ومن هنا نطرح الإشكال التالي:

كيف كان موقف الدولة العثمانية من تولي أحمد المنصور الحكم؟وكيف كانت علاقتهما السياسية والدبلوماسية؟

المبحث الأول:محاولة الدولة العثمانية احتواء المغرب.

أولا:موقف الدولة العثمانية من تولي أحمد المنصور الحكم.

بعد بيعة أحمد المنصور في معركة واد المخازن، وصلته التهاني من مختلف الدول الأ وروبية والإسلامية لتهنئته بالملك والنصر؛ ومنها وفد السلطان العثماني مراد الثالث [1]، وكان بها عدة شخصيات يتقدمها أبو الطيب البسكري، مفتي الجزائر وخاطيبيها، وكان استقبال المنصور برسل السلطان العثماني استقبالا حسنا حيث قال الفشتالي:"ولقاهم ميرة التكريم واختر النزل والأرغاد في القرى وإقامة رسم الضيافة[2].

بينما يقول الأفراني بخصوص الوفد العثماني، حيث قال :"وتشاغل المنصور وتركهم بحضرته مهملي وتأخر عن الجواب"[3].

وبالرغم من ملامح الود والدبلوماسية بين المنصور ومراد الثالث،فان أحمد المنصور لم يطمئن للأتراك العثمانيين ويعلم جدا مطامعهم ورغبة السيطرة عليه ،وقد اثبت ذلك في إغراءات المتعددة لجدب المغرب إلى الخلافة العثمانية، ومنها سفارة أبي الطيب البسكري [4]إلى المغرب سنة 1579م[5].

قدم الشيخ أبي الطيب البسكري إلى المغرب مرتين،مرة الأولى سنة 978هـ/1571م حيث كلف بتوجيه من السلطان العثماني سليم الثاني [6] بالتوسط في الصلح بين عبد الملك المعتصم وأخيهعبد الله غالب[7].

---

[1]-**مراد الثالث:** ولد عام 953هـ/1546م وحكم سنتين 1003،982هـ/1574م،1594م.ينظر:محمود شاكر : سلسلة التاريخ الإسلامي في العهد العثماني، المكتب الإسلامي، ط4، 2000، ص125.

[2]- عبد العزيز الفشتالي، مصدر سابق،ص48.

[3]-نفسه،صص58.86 .

[4]- أبي الطيب البسكري : هو مفتي الجزائر، والعالم الكبير،وخطيب الشهير، اختاره السلطان العثمانية، مراد الثالث لشهرته ومكانته في العلم والرياسة. هذا ماذكرها لفشتالي.انظر : عمار بن خروف:مرجع سابق، ص118.

[5]- عمار بن خروف:مرجع سابق، ص213.

[6]-**سليم الثاني:**ولد عام 930هـ في أيام خلافة أبيه، وأمه روكالان الروسية، وتولى بعد أبيه الحكم عام 973،وبعد أن قتل أبوه كان سليم الثاني ضعيفا إلا أن هيبة الدولة في، السابق وقوة وزيره محمد الصقلي قد أوقف سقوط الدولة أو ظهور الضعف المباشر.انظر:محمود شاكر:مرجع سابق ،ص127.

[7]- عمار بن خروف: مرجع سابق،214.

والمرة الثانية في سنة 987هـ/1579م على رأس الوفد الجزائري لتهنئة المنصور السعدي لانتصاره بمعركة واد المخاز، وبتوليه حكم المغرب لكن الفشتلي لم يذكر فحوى السفارة ولم يشر إلى مضمونها سوى إن المنصور فرح واستبشر حيث قال" فاهتز لذلك أمير المؤمنين سرورا من أعواده[1].

ولكن السفارة على الغالب؛لمتكن تهدف لتهنئة بالملك والنصر،فقط بل كان ورائها أهداف ومطالب أخرى لم تجعل المنصور يهتز سرورا إلا على سيل المدارات ولعظم الغيظ[2] وأغلب الظن إن السفارة طلب من المنصور اعتبار شمال المغرب من نصيب الأمير إسماعيل[3] بن عبد الملك، وإرغامه بالاعتراف عمليا بالسيادة العثمانية في المنطقة، وتقديم المساعدة في تحرير وهران[4].

ثانيا: تعين رمضان بشا على الجزائر ومصاهرته لأحمد المنصور.

قلق السلطان العثماني مراد الثاني من تقارب المغربي الإسباني، لأنه كان يستهدفه بالدرجة الأولى وكان هذا خطر عليه فاصدر السلطان العثماني في أوت 1579 أمر بتعين رمضان باشا، وتكليفه رسميا بإفشال نوايا المنصور، وشن الحرب عليه اذا اقتضى الأمر؛ إن كانت المعلومات التي تلقاها تؤيد شكوكه من أن المنصور يعزم غزوة الجزائر مع الإسبان،وأصدر أوامره إلى باشا الجزائر وحاكم تونس وباشا طرابلس بأن يجندوا كل إمكانياتهم تحت تصرف رمضان باشا[5] .

ولا شك أن اختيار السلطان العثماني لرمضان باشا للقيام بمهمة مراقبة المنصور، مبني على خبرته في التدخل في المغرب، إذ سبق له أن تدخل في هذا البلد سنة 1576م،لتمكين عبد الملك من أخد الملك فيه،وقد نجح في ذلك.

---

[1]-عبد العزيز الفشتالي:مصدر سابق،ص 50.

[2]-نفسه ، ص51.

[3]- **أمير إسماعيل**:ابن عبد الملك السعدي أمه تركية الأصل،تركه أ بوه عند الأتراك عندما دخل المغرب لقتال ابن أخيه المتوكل رأى فيه الأتراك أحقيته بالملك من عمه المنصور واستعملوه كورقة ضغط مرارا ضد عمه المنصور،ينظر:عمار بن خروف :مرجع سابق، ص ص229-239.

[4]- عمار بن خروف: المرجع نفسه ص214.

[5]- نفسه ،ص214.

وفي سنة 1580 بعث رمضان باشا [1]، إلى داود بن عبد المؤمن الذي تار على عمه أحمد المنصور، في أكتوبر 1579 في منطقة سوس جنوب المغرب يعرض له فيها المساعدة والدعم، خاصة عندما أخذ المنصور البيعة لولده وولي عهده محمد الشيخ، ومما جاء في نص الرسالة:" ولما عزمنا الآن القدوم إلى مدينة تلمسان ،فلول ماسألنا عن أحوالكم وأين استقر مقامكم، لكي ننشئ معكم عهدا تقادم لنا مع أسلافكم،فبعنا هذا المكتوب لعلكم تعلموننا في جوابكم لنا بما عنكم من ممول ومرغوب فلا تغيبوا عنا شيا من مصادقكم السنية[2].

مهما يكن فقد استطاع المنصور القضاء على ثورة داود[3]، وانتهى الأمر بأن اغتاله سنة 1580م[4]

-عرض مراد الثالث التحالف والمصاهرة مع أحمد المنصور:

واصل السلطان العثماني مراد الثالث، سياسة احتواء ومحاولة ترويض المنصور بالقبول والهيمنة ورضوخ ولو نسبيا لإرادته وكسبه كحليف، يمكن أن يقف في وجه القوى الإسبانية المهددة لطرفين وخاصة بعدما نجح على القضاء على ثورة ابن أخيه داود،فقدوعزل مراد الثالث حسن فينزيانو الذي كان المنصور يخشى منه لاحتضانه إسماعيل بن عبد الملك وزواجه بأرملة عمه عبد الملك [5] ولذلك ولذلك بات من الضروريأن يعرض السلطان على المنصور المصاهرة بينهما، لتزداد الروابط المودة بزواج المنصور من احدى بناته، وقد بعث السلطان العثماني رسالتين إلى المنصور في أوائل أوت 1580 عرض فيها التحالف معه ضد فليبالثاني [6]، واستعداده لتقديم مساعدته له في تحرير الأندلس وذلك قبلإمضاء معاهدة حسن الجوار[7].

---

[1]-**رمضان باشا**:حكم الجزائر سنة982هـ/1574موتجه إلى حلق الواد سنة982هـ/1574م وتجهز إلى الحرب مع المغرب واستولى على فاس ونصب عليها عبد الملك سنة 983هـ/1575م.ينظر:ابن المفتي حسن رجب شاوش : تقييدات ابن المفتي في تاريخ البشوات الجزائر وعلمائها،در،تح فارس كعوان،بيت الحكمة،ط1، 2009، ص ص42- 43.

[2]-عمار بن خروف: مرجع سابق ،ص216.

[3]-**ثورة داود**: هذه الثورة اندلعت عقب تعين المنصور ولده محمد الشيخ وليا لعد،ثارداود ضد عمه في سوس والذي كان يدعي نفسه بالولاية العهد، ليتم القضاء عليه سنة 988هـ/1580م بعد فراره إلى عرب الوداية .ينظر:عبد العزيز الفشتالي، مصدر سابق، ص ص56-58.

[4]- عبد العزيز الفشتالي:المرجع نفسه، ص56-58.

[5]- Chantal de la veronne،op-cit، p397

[6]-**فليب الثاني**:ولي عهد الإسباني الذي اصبح ملكا على إسبانيا1556-1598، شوقي عطا الله جمل: مرجع سابق ص170.

[7]- عبد العزيز الفشتالي، مصدر سابق،ص101.

وفي الرسالة الثانيةإلى المنصور بعرض تزويجه إحدى بناته لإقامة مزيد من روابط والوفاق بين السلطانين [1].

ثالثا: حملة العلج علي على المغرب.

أقدم أحمد المنصور على تجاهل الوفد العثماني،وتثاقل عليه بعدما جاء لتهنئته كما قلنا؛ الأمر الذي اغضب السلطان العثماني، وخاصة عندما تماطل في الرد على الرسالتين اللتين بعثهما إليه في عام 1580م يطلب فيها التحالف العسكري ضد الإسبان، على أساس أمدده بأسطول وقوات حيث جاء في نص الرسالة:" نوجه لكم ثلاثمئة غرابا [2] سلطانية، وجيش عزو نص وكماة عثمانية تستفتح بها إن شاء الله بلاد الأندلس[3]".

وكان يبدو أن العلج علي الذي كان يحلم مرذأن كان بلربايا مقيما في الجزائر إلى ضم المغرب إلى الدولة العثمانية،وانتهاز الفرصة ليحث السلطان العثماني على التدخل في المغرب بقوة والقضاء على دولة الأشراف السعديين فيها، فقد أذن السلطان العثماني للعلج علي على التوجه على رأس أسطول العثماني لمنازلة المنصور في المغرب والقضاء على دولته.

أما المنصور الذي علم بتوجه العلج علي على غزوها [4]،نقبل تحرك حملته من إسطنبول بستة أشهر فقد بادر في تجهيز فوته العسكرية وتنظيمها لمواجهة الحملة[5].

وبالإضافةإلى هذه الاستعدادات، أرسل المنصور وفدا عن طريق البحر؛ تحمل هداية عظيمةإلى السلطان العثماني يعتذر منه عن تأخره عن جواب وطلب منه إيقاف الحملة الموجهة ضده[6].

ولما كان الوفد متجها إلى إسطنبول التقيا بحملة العلج علي في عرض البحر، فحاول إقناعهما بالرجوع للمنصور خشية إفسادهما عليه هذه الحملة التي كان يحلم بها فقال:" إن الخرق قد اتسع

---

[1] –جاء في الرسالة من السلطان العثماني،مرادالثالث إلى المنصور بخصوص عرض المصاهرة "... عهدنا إلى أمير الأمراء يصهر لكم إحدى بناته لغرضك المشرف...." عبد الهادي التازي : مرجع سابق،ج8ص50.

[2] –**نوع المراكب البحرية** :أول من استعملها القرطاجيون والرمان وغيرهم أخدها العرب واستعملوها لأغراض الحربية والتجارية سمي بذلك لأن مقدمته تشبه الغراب.للمزيد ينظر:إلى مصطفى عبد الكريم: مرجع سابق،ص330.

[3] – رسالة السلطان العثماني مراد الثالث إلى السلطان أحمد المنصور التي يعرض فيها تحالفه ضد الإسبان.ينظر: عمار بن خروف، مرجع سابق ،ج،1 ص249.

[4] – عبد العزيز الفشتالي: ص62.

[5] –عمار بن خروف: مرجع سابق،ص219.

[6] – محمد الصغير الأفراني:مصدر سابق، ص86.

على الراقع،ولو كان لصاحبكم المنصور غرض في المسالمة ،لما بقي أصحابنا بأبوابه كالكلاب والبادي أظلم"[1].

ولكن الوفد أكمل مسيرته للوصول إلى إسطنبول، وقابلو السلطان العثماني واعتذر له عن تأخير المنصور عن جواب؛فقبل مراد الثالث الاعتذار وهدية وبعث معهم رسالة إلى العلج على يأمره بتوقيف والعودة إلى المشرق وارسل أيضا معهم سفارة إلى المنصور، فستقبل المنصور لسفارة العثمانية أحسن استقبال، وبعث بسفارة أخرى إلىالسلطان العثماني في السنة الثالثة1582م [2]،وعملت هذه السفارات على تحسين العلاقات بينهما.

[1]- محمد الصغير الأفراني:المصدر نفسه، ص86.

[2]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري :مرجع سابق،ج5،ص95.

المبحث الثاني: أسباب فشل حملة العلج علي على المغرب.

إن هناك عدة عوامل جعلت السلطان العثماني ينتهز الفرصة في تقديم السفارة المغربية لاعتذار المنصور ليتراجع عن أمره بلغزو المغرب، بل ويعمل على تصفية الجو بينه وبين المنصور؛ ومن خلال هذا نذكر أهم العوامل التي جعلت السلطان العثماني يقبل اعتذار المنصور ويوقف الحملة على المغرب الأقصى.

أولا:موقف الجزائر من الحملة.

ذكر هايدو الجند في الجزائر عارضو الحملة واعربوا على عدم رضاه، واستبعدوا فكرة الاعتداء على حاكم فاس المسالم في نظرهم، وذلك أنه لم تظهر منه أية بادرة سيئة اتجاه الجزائر أو الدولة العثمانية ولهذا أرسلوا سفارة لسلطان العثماني يحملها أحد المرابطين يوضحون فيها موقفهم من هذه الحملة ،ويناشدون السلطان العثماني بأن يأمر العلج علي بتوقيف الحملة، لأنه إذا نج في السيطرة على المغرب، فقد تسول نفسه بالانفصال وتمرد على السلطنة، وقد عادت هذه السفارة بأمر من السلطان العثماني إلى العلج علي بلعودة عن حملته والتي أعلن أن أي مخالفة لإرادته هدده بقطع رأسه إن خالف أوامره[1].

فما كان من العلج علي إلا أن غادر الجزائر ووصل إسطنبول في شهر أكتوبر 1581 ويبدو أن موقف جعفر باشا الجزائر كان مؤيدا لموقف الجند، جعل العلاقة بينه وبين المنصور ودية وطيبة[2].

ثانيا:التقارب الإسباني المغربي وحرب الدولة العثمانية مع الصفويين في المشرق.

1-التقارب الإسباني المغربي:

كان السلطان العثماني علىعلم بالتقرب بين المنصور والإسبان، بحيث أنه كان قد عين رمضان باشا خصيصا لإحباط التقرب الذي كان بينهما، ولو كان بلمستعمال القوه إن لزم الأمر[3]، ولكنه فكر أن الهجوم عليه قد يؤدي إلى تدخل الإسبان ، الذي كان و الا يريدون امتداد العثمانيين للمغرب وقد ذهبت بالفعل سفارة إسبانيإلى المغرب في سنة 1581م، لتفاوض مع

[1]- Diego fray de hedo:histoire des roid'Alger،traduite h،d،grammont،Alger،1881،p187.

[2]-عبد الله كنون: رسائل السعدية،دار الطباعة المغربية تيطوان، المغرب،1954، ص ص87-89.

[3]-عمار بن خروف: مرجع سابق،ص119.

المنصور في شأن المساعدات التي يحتاجها وكذلك في قضية تسليم مناء العرائش لإسبانيا،وتزامنت هذه السفارة حملة العلج علي على المغرب [1].

مما يعنيأن تقدم الحملة العثمانية إلى المغرب ست صطدم بالتحالف السعدي الإسباني، و أن انتصارها ليس مؤكدا في هذه الحالة فلهذا فإن السلطان العثماني قد تخوف عن مصير حملته و أصدر أمر بتوقيفها [2].

2-حرب الدولة العثمانية مع الصفوين:

كانت حرب الدولة العثمانية في المشرق ضد حكام فارس الصفوين، التي اندلعت سنة 1578م، والتي استمرت متقطعة حتى سنة 1649م.

وكانت تشغل الدولة العثمانية ،كثيراو كانت لاتستطيع توجيه قوتها العسكرية إلى جهة أخرى.

فلهذا فإن السلطان العثماني قد أجل حملته وغزوه للمغرب لمرة أخرىأو التخلي عن مهاجمة المنصور وتفاهم معه وإقامة السلام،فاستدعى العلج علي ومن معه لحربه ضد الصفوين [3] .

ثالثاتفاق وسلام بين الدولة العثمانية والمغرب 1582:

لقد شجع تراجع العثمانيين عن غزو المغرب الأقصى المنصور على أن يتراجع بدوره على توقيع أي التزام للإسبان بتسليم العرائش لإسبانيا، وتفاهم وإقامة السلم بينهما فالسلطان العثماني لم يكتف بالصدارة الأمر للعلج علي على التراجع لاعن منازله المنصور،بلأرسل كذلك رسله إلى هذا الأخير مع الهزالي في صيف 1581 من أجلإقامة السلم بين الدولتين[4].

وقد استقبل المنصور السفارة العثمانية في أواخر عام 1581م.

وأكرم رسل السلطان العثماني وأحسن نزلهم[5]،وهذه السفارة جعلت أحمد المنصور يتراجع عن تسليم العرائش للإسبان ويؤكد سلامه مع السلطان العثماني، ولتأكيد ذلك بعث بسفارة أخرى إلى السلطان العثماني بحضور وزرائه وكانت هذه السفارة ذات مغزى؛ وهي أن المغرب ليس ولاية تابعة

[1]- عبد العزيز الفشتالي:مصدر سابق، ص60.

[2]- عمار خروف: مرجع سابق، ص220.

[3]- Diego fray de hedo:op.cit،p167-181.

[4] -عمار بن خروف: مرجع سابق، ص222.

[5]- عبد العزيز الفشتالي :مصدر سابق، ص64.

لدولة العثمانية ولن يكون بل هي دولة مستقلة، ذات سيادة ولا تثل عن الدولة العثمانية و إن حكامها ممن يعترف لهم بالمقام الرفيع لأنهم أشراف، ويبدو أن السلطان العثماني تقبل هذه المرة لضعف دولته النسبي،ولما عمله المنصور من قوة وتشعب علاقته مع الإسبان والتفاف شعبه حوله [1] فقد قال الأفراني:"ففرح بذلك حاقان واهتز لسماعه" مما يعني موافقته عليه وانعقاد السلم بينهما[2].

-أزمة فقيق1584م:

في سنة 1584م حدثت مشكلة عكرت صفو العلاقات الجزائرية المغربية وكادت أن تسبب في أزمة ربما تتحولإلى قتال؛ وهي مدينة فقيق التي تقع جنوب تلمسان و أراضيها تقع في المنطقة الحدودية بين تلمسان وفاس، وهي مرتبطة بالجزائر من ذ زمن قديم كانت الجزائر ت أخذالضريبة عليها، حيث أمر المنصور السعدي بالاستيلاء عليها،وبقتل حاكمها الذي عين من طرف باشا الجزائر، حينها احتج حسن باشا[3] على هذا التصرف، وطلب من المنصورإخلاء المدينة ولكنه جابه المنصور بقول: "إن إسطنبول تركتها لي "[4].

وحتى لا تتصاعد الأزمة كثيرا أصدر السلطان العثماني أوامر لصالح الجزائر برسالة جاء فيها: "...فيقيق كانت قديما تدار الآن يجب أن تدار على نفس المنوال،ولا يحق لحاكم فاس التدخل فيها إننا لأمركم بتطبيق لك وننبهك لكي لاتنسى ولكي لا تملئ الصدور بالحقد ويعم الفساد وتتحول الأزمة الجزئية إلى كلية، عليك تدارك ذلك جيدا و أدى استدعى الأمر مما حدث شيء يتعارض وشرف وناموس والسلطة العلية فإنك تتحمل كامل المسؤولية"[5].

---

[1]-عمار بن خروف: مرجع سابق،ص219.

[2]-الأفراني: مصدرسابق، ص87.

[3]-**تولى حسن باشا** :المعروف باسم بوقارجي باشي سنة 1598/1007م، تولى حكم الجزائر بعد رمضان باشا سنة 985هـ /1577م.ينظر:ابن المفتي: مرجع سابق، ص43.

[4]-عزيز سامح التر: مرجع سابق، ص265.

[5]- عزيز سامح التر : المرجع نفسه، ص260 .

-سفارة أبي الحسن التمكروتي 1589:

كلف أحمد المنصور ال ذهبيأبا الحسن علي بن محمد التمكروت [1]،رفقة محمد بن علي الفشتالي بحمل هديته وبتيليغ رسالته إلى السلطان العثماني مراد الثالث، غادرو ا فاس متجهين إلتيطوان التي انطلق منها في 1 شوال 997هـ/13اوت1586م فمر بوهران، ومستغانم وتنس وشرشال والجزائر التي مكثبها أسبوعين[2] ومر بعدة مدن ساحلية حتى وصل إلى إسطنبول يوم 25 نوفمبر 1589 وأقام بها حوالي 8 أشهر، أدى في بدايتها مهمته حيث استقبل السلطان مراد الثالث، وسلمه رسائل أحمد المنصور وهديته ولكن لم يكشف لنا طبيعة هذه المهمة الدبلوماسية ولم يذكرها في رحلته [3]، والواقع أن التمكروتي لم يتحدث كثيرا عن رحلته عن الجوانب شخصيته، وإنما القارئ لرحلة يجد فيها انطباعه أن التمكروتي كانت لديه صورة سلبية عن الأتراك العثمانيين من باب المفا ضلة بينهم وبين الأشراف السعديين، و أن السعديينأحق بالخلافة منهم و ذلك من خلال الأوصاف التي وصفهم بها ،عندما مر بطرابلس الغرب حيث يقول "والترك جارو على أهل تلك البلاد و أفسدوها وطبقوا على أهلها في أرضهم وديارهم و أموالهم حتى استجابوا نساء المسلمين، وحتى بنات الإنسان من الأعيان والأكابر إذا كان لهم فيها غرض لابقدر أحد أن يمنعها منهم..." وهكذا استطاع المنصور أن يقطع على العثمانيين التوسع نحو المغرب [4].

---

[1]- **أبو الحسن التمكروت** جغرافي ورحالة مغربي أصله من تمكروت ولد في واد درعة بمراكش عام 1520 وتوفي فيها سنة 1595 تراس سفارة المنصور للقسطنطنية: ينظر :ليفي بروفنصال: مؤرخ الشرفاء،تعريب عبد الله قادر الخلادي،دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،الرباط، ص82.

[2]- أمين توفيق الطسي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، شركة أوريس لطباعة،طرابلس ليبيا،1997،ص195.

[3]- أبو الحسن علي بن محمد التمكروتي: النفحة المسكية في السفارة التركية1589م،تح محمد الصالحي، ط1، دار السويدي لنشر والتوزيع، أبوظبي الإمارات،2007، ص97.

[4] -عبد الهادي التازي : سفارة انطونيتشيرلي إلى المغرب وعلاقتها بالتدخل الأوربي في منطقة الخليج، مجلة المناهل،صدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ،الرباط، عدد9،جويلية1977، ص94.

المبحث الثالث:علاقة أحمد المنصور مع إيالة الجزائر.

إن الحل الوحيد الذي تيقنه أحمد المنصور لحل مشاكل بينه وبين إيالة الجزائر العثمانية هو الطرق السلمية والدبلوماسية، نظرا لقوة الدولة العثمانية و إيمان المنصور أن أي مواجهة عسكرية مع العثمانيين سيكون مالها الفشل وذلك اهتم بالسياسة الخارجية، وأعطاها اهتمام أكبر فكانت البعثات الدبلوماسية وتبادل الهدايا لاتنقطع حتى وصل وإلى السلم بينهما.

أولا:تبادل الهدايا والسفارات.

سفارة حسن فينزيالو للمغرب 1580م:

تهدف هذه السفارة من حاكم الجزائر لتهنئة المنصور بالانتصارات على أعدائه وبعث روابط الأخوة الإسلامية بين البلدين،وقد حملت هذه السفارة هدايا قيمة [1] حيث قال الفشتالي:"فكان أولهم وردوا سدته الشريفة و أبوابه العلية المنيعة رسول صاحب الجزائر لاقترابه فبلغ الرسالة و أدى الهدية وكان فيها من فساطيط الهند الغربية الشكل والصفة وزارابي مبثوثة وطرف نفيسة مايستحق من أمثاله"[2].

فمن خلال هذا النص نجد أن الفشتالي أعجب بهدية الوفد الجزائري،والتي وجدت القبول والاستحسان لدى المولى أحمد المنصور الذهبي[3].

-سفارة عثمانية في فاس سنة 1581م:

كان هدف هذه السفارة هو إقناع المنصور بفكرة التخلي عن التزامه بتسليم ميناء العرائش للإسبان، هذا الميناء الاستراتيجي الذي أقلق الأتراك العثمانيين كثيرا،وخاصة عندما وعد المنصور الإسبان بالتنازل عنه لصالحهم، فقد أكرم المنصور هذه السفارة وأحسن إفادتها ومنازلتهاويؤكد علاقته الطيبة مع الدولة العلية وسلامه لسلطان العثماني[4].

[1]-عمار بن خروف: مرجع سابق، ص213.

[2]-عبد العزيز الفشتالي: مصدر سابق، ص49.

[3]-انظر الملحق 08، ص 95.

[4]-عمار بن خروف: مرجع سابق،ص222.

-سفارة الشاطبي[1]والشيظمي[2] سنة 1582م:

كانت هذه السفارة رد على موافقة المنصور وحرصه أن يوصل السلطان العثماني فكرة ينبغي أن تبنى عليها العلاقات مع الدولتين مفادها أن المغرب ليس إيالة عثمانية ويجب أن يقتنع السلطان بهذا الأمر ويعامل المغرب على هذا الأساس،ويبدو أن هذا الأمر تحقق للمنصور واقتنع السلطان العثماني بذلك[3]

وقال الأفراني عن هذه السفارة :"فلما وردا على اخاقان فرح بهما كل الفرح وضع الشياظمي،كلاما بليغا أعرب فيه عن فصل الدولتين وقرر فيه حق أهل البيت،وأطرا المنصور غاية الإطراء وحض على اتجاه كلمة الإسلام وقر أ ذلك علىحاقان يوم السلام عليه ففرح بذلك حاقان واهتزا لسماعه"[4].

ويبدو أن الشاطبي والشاظمي عند استقبلا من طرف السلطان العثماني بلغا ماكلفا بهمن المولى أحمد المنصور وهي إيصال فكرة لسلطان العثماني أن المغرب مستقلا ولايمكن أن يكون تابعا للباب العالي، وركزا المبعوثان على فكرة النسب الشريف للسلطان،وهي مسألة كانت تعني للأتراك العثماني والسعديين كثيرا.

-سفارة عثمانية إلى المغرب سنة1588م:

جاءت هذه السفارة للمنصور تحمل اه دايا من أجل تقوية العلاقات بينه وبين الباب العالي، وتدل على رغبة السلطان العثماني وعلى ترسيخ السلم بين البلدين، وجاء في الرسالة "وما اتفق في هذا التاريخ 996هـ/1588م وورود صاحب القسطنطينية،الذي انفدهإلى حضرتنا الأمامية وعتبتنا المنفية السامية خاطبا لسلمنا وراغبا في عقد الصلح والمها دنة معنا،متبرعا بطلب ذلك من عنده

---

[1]-**الشاطبي**:ابنقاضي مراكش وناب عن أبيه على القضاء بهاوعلى الخطابة بجامع المنصور من قصبة مراكش ولد سنة933م/1527م، وتوفي سنة 1002هـ/1593م.يظر:محمد بن عبد الله الصغير الأفراني، صفوة من انتشار من أخبار الصلحاءالقؤن الحادي عشر،تقديم وتح عبد المجيد خيالي،ط 1،مركز الثراث الثقافي المغربي،الدار البيضاء،المغرب، 2004، ص186.وينظر: عند كذلك أبو العباس أحمد بن محمد بن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال،ص172.

[2]- **علي بن المنظور الشياظمي** :951هـ-1012هـ/1544-1603م، اتصل به السلطان أحمد المنصور كان قائدا وشاعرا، مرأهل مراكش، له جملة من الأشعار في مدح المنصور،ينظر:ترجمة عند أحمد بن محمد المقري :روضة الاس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من اعلام مراكش وفاس، المطبعة المالكية،الرباط، ط2، ص173.

[3]-عمار بن خروف: مرجع سابق، ص222.

[4]-.محمد الصغير الوفراني: مصدر سابق، ص87.

وساعيا فيه غاية جهده بعد أن صدع به كما بلغتنا في حضرته وجمع عليه أهل مملكته وسائر أرباب دولته."[1]

ويبدو من خلال الرسالة التي حملتها السفارة العثمانية لأحمد المنصور، هي الطم أنينة وتبديد مخاوف من التراك العثمانيين حتى لاينزلق في التحالف المغربي الإسباني ضدهم.

-سفارة أبي الحسن التمجروتي إلى إسطنبول في 18 مارس 1598م:

بعث المنصور هذه السفارة في 18 مارس 1589م، وتزامنت مع سفارة تركية من أجل ترسيخ السلام وتوطيد العلاقات وقد بعث أحمد المنصور هذه السفارة إلى الباب العالي يقودها أبو الحسن على التمجروتي الذي لم يفصح عن المهمة التي كلف بها من طرف أحمد المنصور، وغالبا كانت السفارة حول إرساء العوامل والعلاقات الودية بين الدولتين لتعود السفارة إلى مراكش مرفوقة بمبعوثين تركيين للمنصور في 6 جانفي 1591م[2].

ثانيا:تحالف المنصور مع الجزائرين .

-تحالف المنصور مع الجزائر ضد عمار بن القاضي :

تعرضت الجزائر تهديدا من طرف عمار بن أحمد القاضي، حاكم إمارة كوكو [3]، فوقف المنصور مع الجزائر ضده فعمار ابن القاضي تمرد على السلطة العثمانية في الجزائر،وتحالف مع أعداء الدولة العثمانية ومسلمين وهو فليب الثاني، من أجل تحضير لحملة عسكرية لغزو الجزائر سنة1598م[4].

فهكذا كتب المنصور لباشا الجزائر رسالة يعرض فيها المساعدة العسكرية والوقوف بجانبهم ضد عمار بن القاضي وأعداء الإسلام [5].

وجاء في هذه الرسالة: " أما عرفتم من حال ابن القاضي صاحب كوكو، صلة يده بيد الطاغية صاحب إسبانيا دمره الله وقدف بيده وبطواغيت الشرك في بحبوحة الهاوية، وكان من إرساله إليه

---

[1]- عبد الله كنون: مصدر سابق، ص156.

[2]- عمار بن خروف: مرجع سابق،ص233.

[3]-**إمارة كوكو**:أسسها أحمد بن القاضي بجبل كوكو عند منبع واد سباو، بالسفوح الشرقية لجبال جرجرة على بعد ثمانية كي لو مترات من مدينة عين الحمام بتيزي وزو. للإطلاع عن هذه الإمارة بنظر:بن محمد الجيلالي: مرجع سابق،ج3،ص45.

[4]-أحمد توفيق المذني: مرجع سابق.ينظر: رسالة عمار بن القاظي للإسبان كاملة،ص284.

[5]-عمار بن خروف: مرجع سابق،238.

بالهدية فيحط بعلمكم أن هذا الخبر كان قرع أسماعنا الكريمة،على السنة العوام فلم نصدقه لا ستغربنا أن يرضى لحد الانتصار بالكفر على الإسلام إلىأن جاءنا كتابكم فزال الشك وريب .. ثم أعلم وأنه أن أنستم أوأسطولا يؤم ناحيتكم ويغشى واحتجتم إلينا،فنحن بحمد الله بـأنفسنا وأموالنا وأجندنا موجودون لنصرتكم على أتم أهبة واستعداد"[1].

إن الرسالة التي بلغها المنصور للجزائر بتقديم العون وأن يقف بقواته ضد هجمات ابن القاضي وتحالفه مع الإسبان لغزو الجزائر،و إخراج الأتراك العثمانيين منها لم يكن سوى مناورة وسياسة لكسب ود الجزائر والدولة العثمانية حتى يضمن جانبهم لأنه يظن أن التهديد العثماني لمملكته مزال قائما، وهو مايتمتع به أحمد المنصور من حنكة ودهاء كلما شعر بتهديد من الدول المجاورة له.

-عدم نصرة الجزائريين لمحمد الشيخ:

قبل أن يتمرد محمد الشيخ على أبيه أحمد المنصور،شهد المغرب الأقصى وباء الطاعون الذي افتك بالكثير من الناس، والذي استمر سبع سنوات و أيضا ثورة الناصر التي كانت قوية جدا، والتي قضى عليها أحمد المنصور فـإن الجزائر لم تساعد محمد الشيخ في حربه وثورته على أبيه، لأن العلاقات الجزائرية المغربية كانت تميل إلى السلم وحسن الجوار[2] .

وقال المجهول عن ثورة محمد الشيخ: "قبيح الذات والأفعال غدار لمن خدمه ونصحه مسرعا إلى الفساد في القينات .. مصرا على الخمر والحشيش"[3].

وقد جمع محمد الشيخ حوله أعداء أبيه كعرب أولاد حسين وعرب أولاد طلحة وفي أكتوبر وجه المنصور حملة قوامها ثمانية ألف فارس، لتعقب والبحث عن ابنه المتمرد محمد الشيخ فلم يكن إمام محمد الشيخ سوى اللجوء إلىإحدى الزوايا ليتم القبض عليه بعد معركة عنيفة [4].

---

[1]-عبد الله كنون: مصدر سابق، ص ص143 - 144.

[2]- محمد الصغير الأفراني: مصدر سابق،175.

[3]-مؤلف مجهول: مصدر سابق،ص69.

[4]- نفسه ، ص74.

-احترام أحمد المنصور للحدود الجزائرية

كان السلطان أحمد المنصور يخشى أن تمد الجزائر العون لابن أخيه الثائر الناصر الذي فرإلى الحدود الشرقية للمغرب، إلا أن الجزائر لم تسانده وقد تجنب المنصو ر وامتنع عن ملاحقة الناصر عسكريا عند الحدود الشرقية للمغرب مع الجزائر احترام سيادتها وحسن الجوار بينهما[1].

ولأجل القضاء على تمرد ابن أخيه أرسل المنصور إلى حظر باشا [2]، يستأذنه إلى القتال الناصر على الحدود الجزائرية وقد عبر الفشتالي عن ذلك:" إن ظنا منا أنه يجعل مروره على تلك الجهة طريقا إليكم وسبيلا إلى الالحاق بجهتكم فلما ر أيناه تعاقس عنكم لم نرد إقحامه إلا بعد مفاوضتكم زاعلام مكانكم"[3].

ثالثا: ترسيخ السلام بين الجزائر والمغرب.

قد كانت الفترة الأولى من علاقات أحمد المنصور والدولة العثمانية تميلإلى بعض التوتر والقلق والسلام كما ر أينا،فإن العلاقات بين البلدين قد مالت أكثر بعد ذلك إلى السلم الراسخ ولكن ميل الجزائر والدولة العثمانية من جهة وأحمد المنصور من جهة أخرى إلى السلام الراسخ كان يرجع إلىأسباب منها:

-اضطر السلطان العثماني مراد الثالث وخليفته محمد الثالث إلى الاهتمام أكثر بفارس،و أوروبا الشرقية وبأمور المشرق العربي وأسيا الصغرى، أكثر من اهتمامهم بما يجري في المغرب الأقصى [4].

- إن خلفاء حسن فينزيانو في الحكم في الجزائر لم يكونو ا على درجة كبيرة من القوة يحث يكون بإمكانهم الدخول في نزاع أو حرب ضد المغرب[5].

- بداية التراجع العثماني بعدانهزامهم في معركة ليبانت1571م التي تعتبر من الهزائم الكبرى التي لحقت بالدولة العثمانية فهي بمثابة العد التنازلي للقوة العثمانية إمامالأوربيين[6].

---

[1]-عمار بن خروف: مرجع سابق،ج1،ص236.

[2]-**خضر باشا**:أحد بشاوات الجزائر تولى الحكم أول مرة سنة1589 وعين المرة ثانية سنة 1595م وفي المرة الثالثة سنة 1605م مات مخنوقا على يد الباسةكوسة مصطفى سنة 1605. نظر إلى: بن المفتي حسن رجب شاوش: مرجع سابق، ص ص44-45.

[3]- عبد الله كنون: مصدر سابق، صص259-260.

[4]-عبد العزيز الفشتلي: مصدر سابق، ص62.

[5]-محمد الصغير الوفراني: مصدر سابق،ص86.

[6]-Ernest charriere،Negociations de la France danslevant،imprimerieimpreriale،paris،T3،PP187-188-189.

– إن السلطان أحمد المنصور في المغرب بات على درجة كبيرة من القوة ،من انتصاره في معركة واد المخازن والتغلب على كل الصعوبات الداخلية التي واجهتها في بداية عهده ،وان الدول أصبحت تحسب له حسابا، ومنها الجزائر ولم يعد يخشى من جيرانه العثمانيينوالإسبان[1].

– السفارات المتبادلة بين الدولة العثمانية والمغرب الأقصى، التي كانت اغلبها تهدف إلى ترسيخ السلام من بينها سفارة التي أرسلها السلطان العثماني في 1588م وغيرها من الرسائل وسفارات وهدايا[2].

–أيضا أوضاع الأتراك العثمانيين التي مالت إلى التدهور في السنوات الأخيرة من عهد مراد الثالث في إسطنبول والجزائر حيث قامت فيها ثورات وتمردات من الجنود وغيرهم من حكام لهذا لم يسمح لهم في التدخل في قوى المغرب وهذا الأمر لم يكن يخفى على أحمد المنصور التي كانت له جواسيس فيها بل كان مراد الثالث وخليفته محمد الثالث وباشوات الجزائر، في العقد الأخير حرصين على إبقاء العلاقات بينهما وبين السلطان المغربي قائم ومتميزة بالسلام وحسن الجوار[3] .

ولقد لقي هذا الميل جواب لدى المنصور حيث مال هو الآخرإلى السلام معهم والشواهد الدالة على ذلك كثيرة منها كما ذكرنا:

–تبادل الهدايا والرسائل[4].

– عدم نصرة الجزائر لناصر بن عبد الله [5].

– احترام المنصور للحدود الجزائرية [6].

– تحالف المنصور مع الجزائريين ضد عمار بن القاضي.

– عدم تدخل الجزائر لنصرة محمد الشيخ المتمرد ضد أبيه أحمد المنصور.[7]

ومما تقدم في هذا الفصل إن العلاقات بين الجزائر والمغرب بعد اتفاق 1582م الذي اعترفت فيه الدولة العثمانية بالمنصور سلطانا على المغرب وقبلت بالأمر الواقع،م يتنح نحو السلام الراسخ

---

[1]–محمد الصغير الافراني: مصدر سابق ،ص86.

[2]–أبو العباس أحمد بن خالد الناصري :مرجع سابق، ج5،ص95.

[3]–عبد الله كنون :الرسائل السعدية، مرجع سابق،ص260.

[4]–عمار بن خروف: مرجع سابق،ص235.

[5]-HD.Degrammont:Histoid'Alger sous la domination tourc،ernestleroux، Paris، 1887،p138.

[6]– عبد الغزيز الفشتالي: مصدر سابق، صص96–97

[7]–عمار بن خروف: مرجع سابق، ص232.

والوفاق التام والتعاون الفعال،كما كان من المنتظر أن يحصل،لأنالاتفاق المتوصلإليه بين المغرب والدولة العثمانية لم يطمئن تماما السلطان أحمد المنصور.

-قابل المنصور الميل إلى التفاهم مع الإسبان على التعاون ضد العثمانيين في الجزائر والتفاوض معهم بشأن ميناء العرائش، جعلت العلاقات تميل إلى نوع من السلام والقلق بعض الوقت.

- إ ن العلاقات بين المغرب والجزائر الدولة العثمانية لم تمل نحوالسلام الراسخ، إ لا بعد تأكيد السلطان العثماني رغبته في السلام والصلح مع المغرب سنة 1588،واضطراره لقبول الأمر الواقع في المغرب أي باستقلال السلطان أحمد المنصور فيه استقلالا تاما،لاسلطة عليه وهو ما قبله المنصور بالتراجع عن التحالف مع الإسبان ضد العثمانيين وعن تسليمهم العرائش.

- إن العلاقات بين الجزائر والمغرب حتى بعد إن مالتإلىالسلام الراسخ بعد سنة 1588م لم ترق إلى التعاون الفعال والتلاحم بينهما وذلكلانعدام الثقة الكاملة بينهما، فالمنصور ظل ينظرإلى أن الجزائر بلد العدو.

ختام

وفي دراستنا لموضوع العلاقات المغربية العثمانية في عهد أحمد المنصور الذهبي، تطرقنا إلى لمحة عن علاقة الدولة العثمانية مع محمد الشيخ وأبنائه والتي تميزت بالسلم وتارةأخرى بالتوتر، والتي تمثلت في امتناع محمد الشيخ و أبنائه الأقوياء عن الاعتراف بالسيادة العثمانية والانطواء تحت لوائها معتبرين أنفسهم أحق منهم بزعامة العالم الإسلامي معتمدين على نسبهم الشريف الذي جعلهم في نظرهمأنه ماحق بالخلافة وزعامة المسلمين من السلاطين العثمانيين الأعاجم معتمدين على قوتهم العسكرية التي أولوها اهتماما كبيرا، وظهرت لهم فعليتها ضد البرتغالي ين حيث أن محمد الشيخ المؤسس الحقيقي لدولة السعدية في المغرب الذي اتخذ موقف هجومي متقدما عندما لقب نفسه، بالإمام و أمير المؤمنين والمهدي.

وكان يلقب السلطان العثماني بسلطان الحواتة وشرع في توسيع نفوذه نحو الشرق، في 957هـ/1550م بغزو تلمسان التي كانت تحت نفوذ العثماني ين في الجزائر،مما جعل العلاقات بينه وبين العثمانيين في الجزائر و إسطنبول تميل إلى التوتر الشديد والحرب طوال بقية عهده، حتى مقتله وظلت العلاقات في عهد عبد الله الغالب متميزة بالعداء والحرب للسير على نهج والده.

إلىأن بويع أحمد المنصور في معركة واد المخازن بعد انتصاره على البرتغاليين وبيعته التي رفضها القادة الأندلسيين المواليين للأتراك وطلبوا بأحقية الأمير إسماعيل بن عبد الملك أحقيته في الحكم وقد مالت العلاقات نحو التوتر في السنوات الأولى، من عهد المنصور لرفضه التحالف مع الدولة العثمانية ضد إسبانيا وإصراره على عدم اعتراف بالسيادة العثمانية عليه وعلى البقاء مستقلا عليها في المغرب قبل أن تميل تلك العلاقات إلى السلام الحذر بعد قبول السلطان العثماني وحكام الجزائر بالأمر الواقع في المغربيأن تكون فيه دولة مستقلة عن الجزائر والدولة العثمانية والجدير بالملاح ظة إن ميل العلاقات بين الجزائر والمغربإلى العنف والتوتر قد توافقت مع الفترة التي كانت فيها الدولة العثمانية في أوج قوتها في عهد السلطان سليمان القانوني وابنه سليم الثاني وشطر من عهد السلطان مراد الثالث و إن ميل العلاقات بينهما نحو السلم والهدنة توافق مع ميل الدولة العثمانية أكثر فأكثر نحو الضعف ابتداء من أواخر عهد مراد الثالث بحيث يمكن القول:

-إن قوة الدولة العثمانية وضعفها كان عاملا في توجيه العلاقات بين الجزائر والمغرب نحو العداء والسلام أوالهدنة.

اضطرار السلطان العثماني مراد الثالث وخليفته محمد الثالث إلى الاهتمام أكثر بفارس،وأوروبا الشرقية وبأمور المشرق العربي وأسيا الصغرى، أكثر من اهتمامهم بما يجري في المغرب الأقصى.

إن خلفاء حسن فينزيانو في الحكم في الجزائر لم يكونوا على درجة كبيرة من القوة يحث يكون بإمكانهم الدخول في نزاع أو حرب ضد المغرب.

بداية التراجع العثماني بعدانهزامهم في معركة ليبانت1571م التي تعتبر من الهزائم الكبرى التيلحقت بالدولة العثمانية فهي بمثابة العد التنازلي للقوة العثمانية أمام الأوروبيين.

– إن السلطان أحمد المنصور في المغرب بات على درجة كبيرة من القوة،من انتصاره في معركة واد المخازن والتغلب على كل الصعوبات الداخلية التي واجهتها في بداية عهده،و أن الدول أصبحت تحسب له حسابا.ومنها الجزائر ولم يعد يخشى من جيرانه العثمانيين والإسبان.

السفارات المتبادلة بين الدولة العثمانية والمغرب الأقصى، التي كانت أغلبها تهدف إلى ترسيخ السلام من بينها سفارة التي أرسلها السلطان العثماني في 1588م وغيرها من الرسائل وسفارات وهدايا.

أيضا أوضاع الأتراك العثمانيين التي مالت إل ىالتدهور في السنوات الأخيرة من عهد مراد الثالث،في إسطنبول والجزائر حيث قامت فيها ثورات وتمردات من الجنود وغيرهم من حكام لهذا لم يسمح لهم في التدخل في قوى المغرب وهذا الأمر لم يكن يخفى على أحمد المنصور التي كانت له جواسيس فيها بل كان مراد الثالث وخليفته محمد الثالث وباشوات الجزائر، في العقد الأخير حر يصين على إبقاء العلاقات بينهما وبين السلطان المغربي قائم ومتميزة بالسلام وحسن الجوار .

ولقد لقي هذا الميل جواب لدى المنصور حيث مال هو الآخر إلى السلام معهم والشواهد ال دالة على ذلك كثيرة منها :

–تبادل الهدايا والرسائل.

– عدم نصرة الجزائر لناصر بن عبد الله.

– احترام المنصور للحدود الجزائرية.

– تحالف المنصور مع الجزائريين ضد عمار بن القاضي.

– عدم تدخل الجزائر لنصرة محمد الشيخ المتمرد ضد أبيه أحمد المنصور.

قائمة المصادر والمراجع

- **المصادر والمراجع:**

-اولا: المصادر العربية:

1- الافراني محمد بن عبد الله الصغير ، نزهة الحادي في اخبار وملوك القرن الحادي،تحهوداس مطبعة انجلي ، باريس ، 1888م.

2- الافراني محمد بن عبد الله الصغير، صفوة من انتشار من اخبار الصلحاء القرن الحادي عشر تقديم وتح عبد المجيد خيالي ، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء ، المغرب ، 2004.

3- بن الخطيب محمد لسان الدين، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، صححه البشير الفورتي، ط1، مطبعة التقدم الاسلامية ، تونس ، د ت ن .

4- ابن القاضي ابو العباس ، درة الحجال في اسماء الرجال .

5- التمكروتي ابو الحسن ، النفحة المسكية في السفارة التركية 1589م ، تح ، محمد الصالحي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، ابوظبي الامارات ، 2007.

6- التمكروتي علي ، النفحة المسكية في السفارة التركية ، تق وتح عبد اللطيف الشادلي، الملكية الرباط ، دط ، 135، 2002.

7- دي طوريس ، تاريخ الرفاء ، تر محمد الحجي وآخرون، المكتبة كلية الادب ، القنيطرة، دط، دت، الاستقصاء ، ج5.

8- مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، وصف مكة والمدينة، مصر، وبلاد المغرب ، نشر وتعليق عبد الحميد سعد زغلول ، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد العراق، 1986م.

9- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكدمارتية، تح عبد الرحيم بن حادة ، دار النميل للطباعة والنشر، مراكش، ط1، 1994م.

10- المقري احمد، روضة الاس العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من اعلام مراكش وفاس المطبعة المالكية، الرباط، ط2. .

11- المكناسي ابي العباس ابن القاضي، درة الحجال في اسماء الرجال، 4ج، تحقيق محمد الاحمدي ابو النور، ط1، دار النصر للطباعة، تونس، 1970م، ج1.

12- الناصري ابو العباس ،الاستقصاءلاخبار دول المغرب الاقصى الدولة السعدية، ج 5، تح جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، دار البيضاء ، بط، 1418هـ1997م.

المصادر المعربة:

1_الوزان حسن بن محمد: وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج2،ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983، ج2.

2_ كاربخال مارمول: وصف افريقيا ،ج 1، تر محمد حجي وآخرون ، مكتبة المعارف الرباط، المغرب، بط،1984م.

المراجع العربية:

1-أبو الخليل شوقي، واد المخازن (معركة الملوك الثلاثة القصر الكبير)، دار الفكر، ط 1، بدمشق 1988م.

2- أبو لقمة الهادي، عزيز محمد، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، جامعة قاريونس ، ط 2 ، تغازي، 1988م.

3- الأخضر محمد الحاجي ،ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ج2.

4- الأرواني مولاي أحمد بابير ، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكت البهية، تحقيق الهادي مبروك الدالي ، ط 1 ، ليبيا ، 2001م

5- بابتيست جون ولف، الجزائر وأوروبا، (1500-1830) ترجمة وتعليق أبو قاسم سعدالله طبعة خاصة، دار عالم للمعرفة، الجزائر،2011 م.

6- بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981.

7- بروفنصال ليفي، مؤرخ الشرفاء، تعريب عبد الله قادر الخلادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط.

8- بطرس البستاني، دائرة المعارف ، بيروت ، 1986م ، مج 6، مادة تنبكت.

9- البغدادي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ، معجم البلدان، 5ج بيروت 1977م ج 2.

10- البكري أبو عبيد الله ، المسالك والمماليك، 2ج، تحقيق اندريان فان اليوفن واندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م ، ج 1.

11- بن خروف عمار، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري والسادس عشر ميلادي، ج1، دط، 2006.

13- التازي عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب (من أقدم العصور إلى اليوم فضالة بالمحمدية، ج 8، د ط، د ب ن، 1988م.

14- التر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا، نتر علي عامر، دار النهضة العربية، ط 1، بيروت،1989.

15- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ (مند بداية إلى النهاية السعديين)،ج 2 ، دار النشر الحديثة الدار البيضاء.

16- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ج 2، د ط، د ب ن 2000م.

17- جمل شوقي عطاالله، المغرب الكبير في العصر الحديث ليبيا تونس المغرب، مكتبة انجلو المصرية القاهرة،ط1، 1977.جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد هزالي والبشير بن سلامة، 2ج، الدار التونسية للنشر، ج 2، أوت 1985.

18- الدالي الهادي الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 19 إلى بداية القرن 18م ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، 1998م.

20- داود محمد، تاريخ تطوان، معهد مولاي الحسن تطوان، ج 1، 1959م.

21- الزبيري محمد العربي، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، دارا لمعارف، مصر القاهرة.

22- الزيانيأبو قاسم، البستان الظريف في دولة مولاي الشريف (من النشأة إلى نهاية السعديين)، محمد عبد الله قاسم القسم الأول ودوتح رشيد اوية مركز الدراسات والبحوث العلوية الرصاني إقليم الرشدية، تط2013.

23- الزياني هامش أبو القاسم ، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالمملكة المغربية، 1429هـ / 2008 م.

24- سرحان علي كامل حمزة ، العلاقات الخارجية لدولة السعدية خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي (1549م-1603م)، دراسات تاريخية، جامعة فران التقنية، المعهد التقني، بابل،2017.

25- السيد محمود، تاريخ دولة المغرب العربي ، (ليبيا، تونس ، الجزائر، المغرب، موريتانيا)،مؤسسة شباب الجامعة ، دط ، الإسكندرية، د ت ن.

26- شاكرمحمود، التاريخ الإسلامي للعهد المملوكي، ط 5، المكتب الإسلامي 2000م، بيروت، ج 7.

27- شاكر محمود، سلسلة التاريخ الإسلامي في العهد العثماني، المكتب الاسلامي، ط 4، 2000.

28- شاوش ابن المفتي حسن رجب، تقييدات ابن المفتي في تاريخ البشوات الجزائر وعلمائها، در، تح فارس كعوان، بيت الحكمة،ط1، 2009.

29- ضيف شوقي، الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان) دار المعارف ط1، القاهرة، دت ط.

30- الطسي أمين توفيق، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، شركة أوريس لطباعةطرابلس ليبيا،1997.

31- علي عامر محمود، تاريخ المغرب العربي الحديث، الجمعية التعاونية، د ط، بدمشق، د ت ب.

32- علي عامر محمود، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى ليبية) منذ بداية القرن 16 حتى 1830، جمعبية التعايش لطباعة، دمشق، دط، دت.

33- الغاشي مصطفى، الرحلة المغربية والشرق العثماني (محاولة في بناء الصورة) الانتشار العربي، ط 1، بيروت، 2015م، لبنان.

34- الغربي محمد، بداية الحكم المغربي في السودان،ج1، مؤسسة الخليج لطباعة، دط ،دت.

35- الغنيمي عبد الفتاح مقلد ، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج 5، ط 1، مكتبة مديولي 1994م.

36-الفشتاليفارس عبد العزيز ،مناهل الصفا في ماثر موالينا الشرفاء،در وتح عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط،دط، دت.

37- الفيلالي عبد الكريم، ج 3

38- كريم عبد الكريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، جمعية مؤرخين المغاربة ، الرباط، ط3 ،2006.

39- كنون عبد الله، رسائل السعدية، دار الطباعة المغربية تيطوان، المغرب، 1954.

40- اللواتي عبد الله محمد ابن ابراهيم (ابن بطوطة)، تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلته) ط 1، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

41- المدني أحمد ، حرب ثلاث مئة سنة بين الجزائر وإسبانيا، شركة الوطنية لنشر والتوزيع،دط دت،344.

42- المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد عرباوي، قاهرة، 1963.

43- المقري أحمد ، روضة الاس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس المطبعة المالكية، الرباط، ط2.

44- موسى فيصل محمد، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مراجعة ميلاد المقرمي، منشورات الجامعة المفتوحة، 1997.

45- النميري ابن الحاج، فيض العباب وإفاضة القداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دار الغرب الإسلامي، ط1 بيروت، لبنان، 1990م.

46- يحي جلال، المغرب الكبير، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط ، د ب ن ، د ت .

– باللغة الأجنبية:

1-Ernest charriere،Negociations de laFrancedanslevantimprimerieimprerialeparis،T3.

2-Chantal de laveronne، relation entre le Maroc et la Turquiedans la secondemoitie du 16 e siècle et le début du17 e siècle(1554-1616)،revue de l occident musulman et de la méditerranée1973 n.

3- Diego fray de hedo : histoire des roid'Alger،traduite h، d،grammont، Alger 1881.

4- Diego fray de hedo،op.cit.

5- HD.Degrammont:Histoid'Alger sous la domination tourc،ernestleroux، Paris1،،1887.

6- Inreveoccpationportugais du mrocyabiladi mage mai، 2011.

7- lamediterranee et monde mediterraneemarmandceluiparis، t2، 1966.

8-mwatsonM: phillpellroi d espgnevoll،mesterdam.

- **الرسائل الجامعية:**
- **الأطروحات:**

1-بن قومارجلول، علاقات المغرب الاقصى السياسية والدبلوماسية مع دول ضفتي غرب المتوسط في عهد أحمد المنصور السعدي واسماعيل العلوي (1578-1603/1672-1727) م ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، في التاريخ الحديث، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، الجزائر.

رسائل الماجستير:

1-غربي الحواس، السيادة السعدية في البلاد السودانية، (1591.1660م) (دراسة سياسية وعسكرية) مذكرة شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية، والاجتماعية،جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر.

2- الصباغ عبد اللطيف محمد، الصحراء في علاقات المغرب الدولية 1230-1975م، مذكرة ماجستير ، التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق.

الموسوعات العلمية:

1- الشامي يحي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، ط 1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م.

2-كنون عبد الله، موسوعة مشاهير المغرب، ط2، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1994م.

3- بن الطيب الغادري محمد، نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني ، موسوعة اعلام المغرب، تحقيق محمد حجي واحمد توفيق ، ط1، دار المغرب الاسلامي ، ج3، بيروت، 1996م.

- **المجلات:**

1-اعرابسعيد، موقعة واد المخازن واندحار الصليبية بالمغرب، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط المغرب، السنة 19، العدد 8، رمضان أوت 1978م.

2-التازيعبد الهادي، سفارة انطوني تشيرلي إلى المغرب وعلاقتها بالتدخل الأ وروبي في منطقة الخليج، مجلة المناهل، صدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ،الرباط، عدد9، جويلية.1977

3- سويكت فهد، موقف الإشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، 2006.

4- طحطح خالد فؤاد،العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن 16، المجلة التارخية الفوسطات.
5- العمراني عبد الله، معركة القصر الكبير، مجلة دعوة الحق، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، المغرب، العدد1، نوفمبر1954م.

الملاحق

الملحقالأول:[1]:ملوك الدولة السعدية

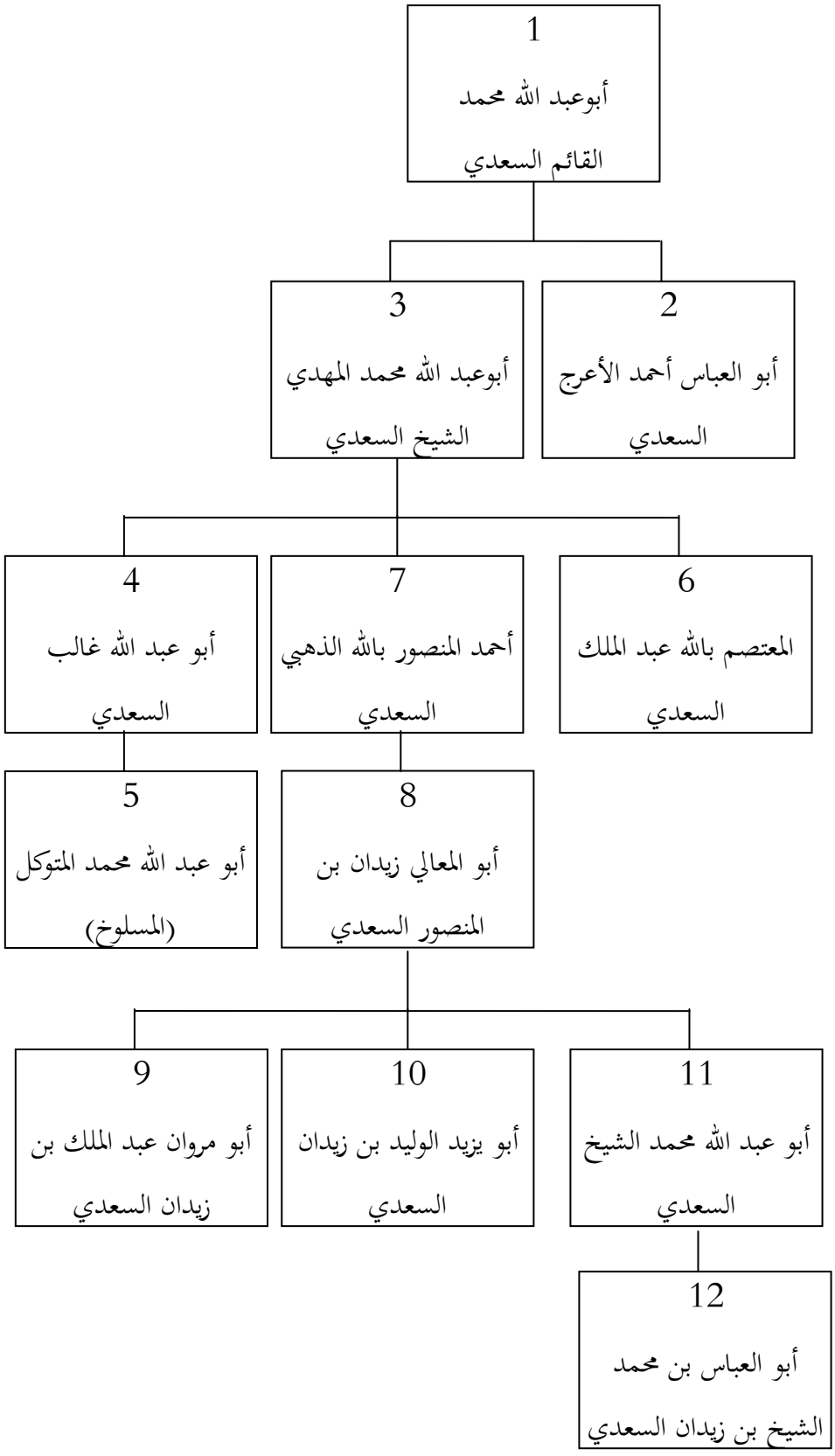

[1] – انظر موسوعة أعلام الغرب، ج3، ص1134.

الملحق الثاني:[1] مملكة مراكش

[1]- حسن الوزان، مصدر سابق، ج1،ص94.

الملحق الثالث:[1]لمغرب في عهد الدولة السعدية.

ا

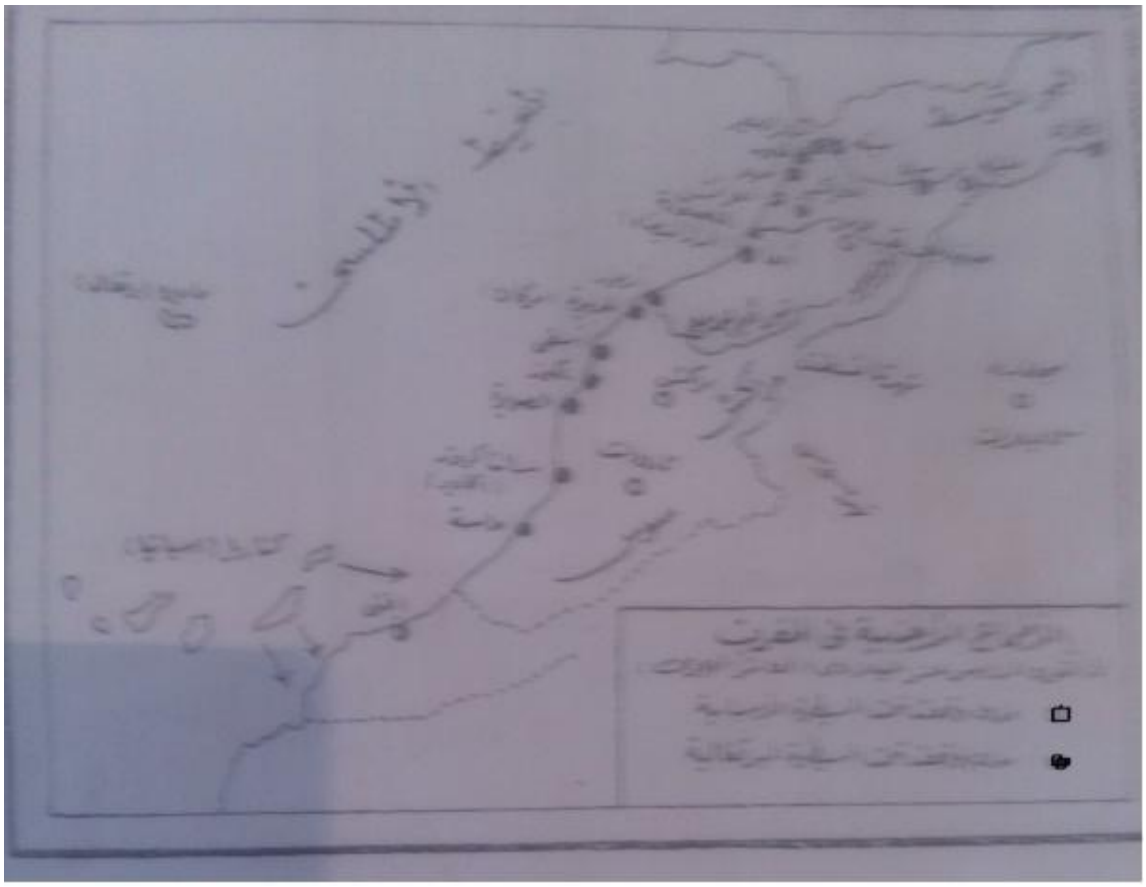

[1]- شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص486.

الملحق الرابع:[1]مدينة تارودانت

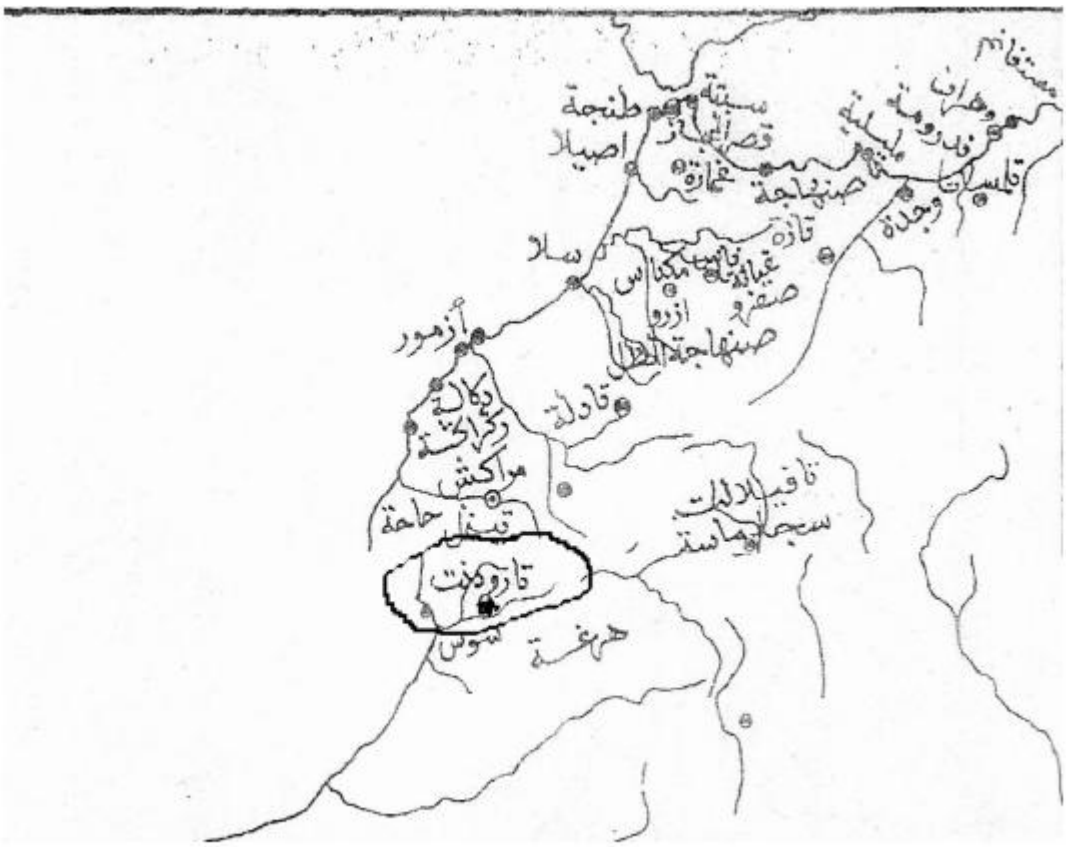

[1]- عبد الهادي التازي، مرجع سابق، ص07.

الملحق الخامس:[1]دون سيبستيان ملك البرتغال "قتيل لمعركة واد المخازن"

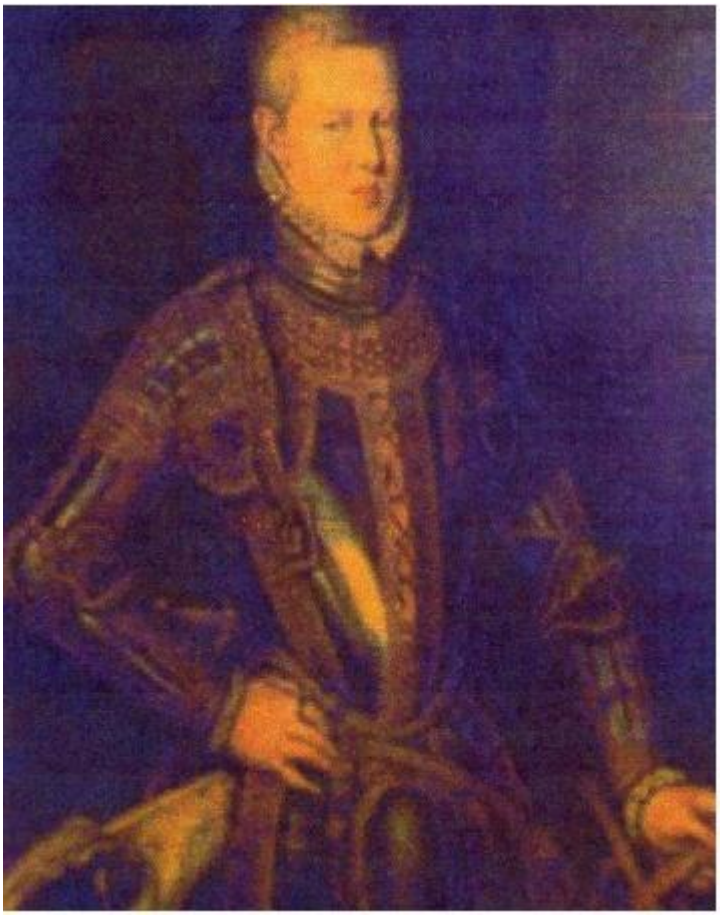

[1]– انظر موقع ويكبيديا (الموسوعة الحرة).

الملحق السادس:[1]مخطط يوضح تركيب القوات المغربية والبرتغالية.

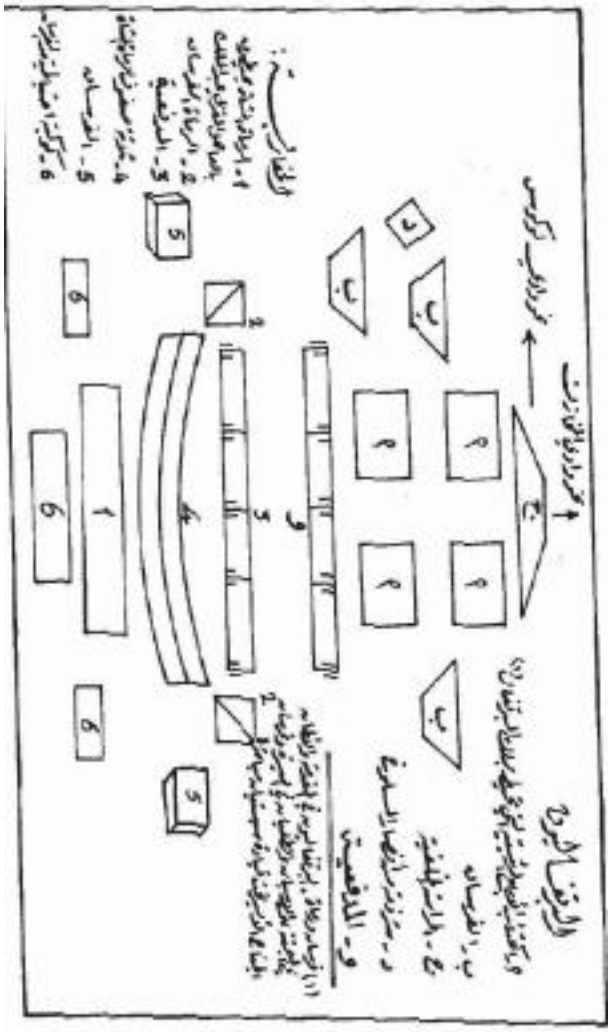

[1]- شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص60.

الملحق السابع:[1]القوات المغربية والبرتغالية في معركة وادي المخازن.

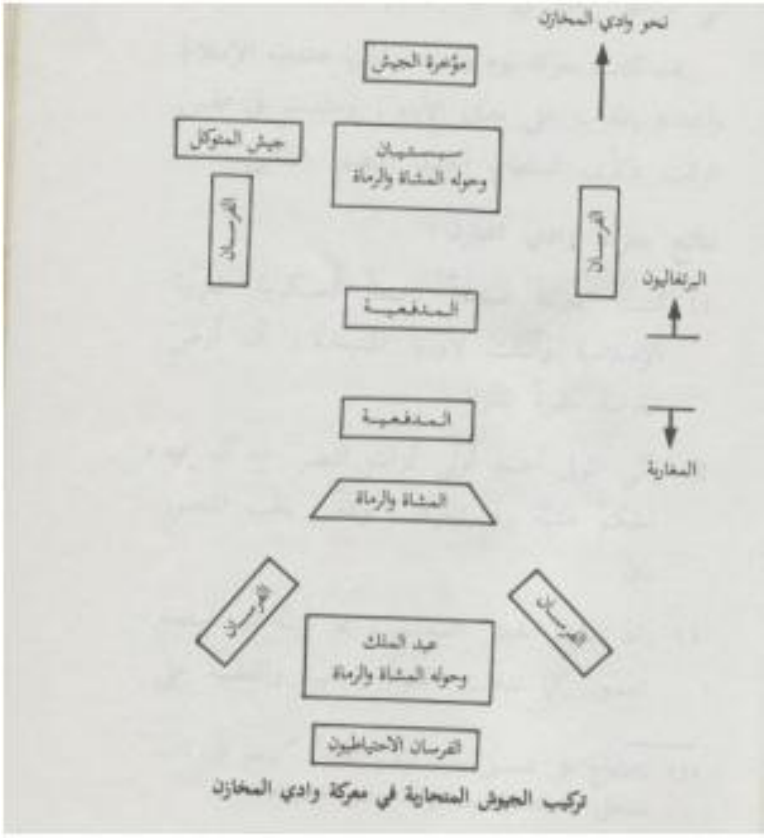

تركيب الجيوش المتحابة في معركة وادي المخازن

[1] – القوات المغربية والبرتغالية في معركة وادي المخازن.

الملحق الثامن:الملوك والخلفاء الذين عاصروا أحمد المنصور (حسب الدراسة).

الدولة	الحاكم	فترة حكمه
الدولة العثمانية	مراد الثالث	1574م / 1594م[1]
	محمد خان الثالث	1594 م / 1603م
إسبانيا	فيليب الثاني	1556م / 1598م
	فيليب الثالث	1598م / 1621م
البرتغال	الكاردينال هنري	1578م / 1580م[2]
	فيليب الثاني	1581م / 1598م
	فيليب الثالث	1598م / 1621م
إنجلترا	إليزابيث الأولى	1558م / 1603م
فرنسا	هنري الثالث	1574م / 1589م
	هنري الرابع	1589م / 1610م
السودان	إسحاق بن داود سكية	1588م / 1591م

[1]- ابراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت 1988، ص ص 103-108.

[2]- انظر موقع ويكيبيديا، (الموسوعة الحرة)، يوم 13 /2020/04، على الساعة 21.00.

فهرس

المحتوى	الصفحة
الإهداء	
الشكر والعرفان	
ملخص الدراسة.	
مقدمة	(أ-ب)
الفصل التمهيدي: علاقة محمد الشيخ بالدولة العثمانية.	5
المبحث الأول: بيعة محمد الشيخ وتوليه الخلافة.	6
1 -المولد والنشأة.	6
2 -توليه الخلافة.	7
3 -موقف محمد الشيخ على يد العثمانين.	7
المبحث الثاني:الدولة السعدية في ظل حكم محمد الشيخ.	9
1 -تنظيم الدولة.	9
2 -مواجهة التمردات.	9
3 -توسع السلطان محمد الشيخ.	12
المبحث الثالث:علاقة محمد الشيخ وأبنائه مع الدولة العثمانية.	12
1- علاقة محمد الشيخ مع الدولة العثمانية وإيالة الجزائر.	12
2- علاقة الدولة العثمانية مع عبد الله الغالب 1557-1573.	16
3- العلاقات المغربية العثمانية في عهد المتوكل وعبد الملك (1573-1578).	17
الفصل الأول: معركة واد المخازن 1578م (الأسباب والنتائج).	19
المبحث الأول: ظروف المعركة.	21
1 -ظروف المغرب قبل معركة واد المخازن.	21
2 -ظروف البرتغال قبل معركة واد المخازن.	24
3 -ظروف الدولة العثمانيةقبل معركة واد المخازن.	27
المبحث الثاني: مجريات المعركة.	29
1 -استعدادات المعركة.	29
2 -قوات الجيش المغربي و البرتغالي	31

3 -اندلاع المعركة.	32
المبحث الثالث: نتائج معركة واد المخازن.	35
1 -بالنسبة للمغاربة.	35
2 -بالنسبة للبرتغاليين.	37
3 -بالنسبة للعالم الإسلامي.	38
الفصل الثاني:تطورالدولةالسعديةفيظلحكمالسلطانأحمدالمنصورالذهبي.	39
المبحث الأول: شخصيةأحمد المنصور الذهبي.	40
1 -مولده ونشأته.	40
2 -بيعته وتوليه الخلافة.	41
3 -نسبه.	42
المبحث الثاني: تنظيمات وإنجازات أحمد المنصور.	44
1 - إنجازاته السياسية والإدارية.	44
2 -إنجازاته الاقتصادية والعمرانية.	46
3 -تنظيمه للجيش.	48
المبحث الثالث: غزو أحمد المنصور للسودان الغربي.	51
1 -أسباب غزو احمد المنصور لبلاد السودان الغربي.	51
2 -مجريات الحملة.	53
3 -نتائج الحملة.	56
الفصل الثالث:علاقةأحمد المنصور بالدولة العثمانية وإيالة الجزائر.	59
المبحث الأول: محاولة الدولة العثمانية احتواء المغرب.	61
1 -موقف الدولة العثمانية من تولي أحمد المنصور الحكم.	61
2 -تعين رمضان بشا على الجزائر ومصاهرته لأحمد المنصور.	62
3 -حملة العلج علي على المغرب.	64
المبحث الثاني: أسباب فشل حملة العلج علي على المغرب.	66
1 -موقف الجزائر من الحملة.	66
2 -التقارب الإسباني المغربي وحرب الدولة العثمانية مع الصفويين في المشرق	66

3 -اتفاق وسلام بين الدولة العثمانية والمغرب 1582.	67
المبحث الثالث:علاقةأحمد المنصور مع إيالة الجزائر.	70
1 -تبادل الهدايا والسفارات.	70
2 -تحالف المنصور مع الجزائريين.	72
3 -ترسيخ السلام بين الجزائر والمغرب.	74
خاتمة.	77
قائمة المصادر والمراجع.	80
الملاحق.	87
فهرس المحتويات.	96

ملخص:

-إن العلاقات بين الجزائر والمغرب بعد اتفاق 1582م الذي اعترفت فيه الدولة العثمانية بالمنصور سلطانا على المغرب وقبلت بالأمر الواقع ، لم يتنح نحو السلام الراسخ والوفاق التام والتعاون الفعال كما كان من المنتظر أن يحصل ،لأن الاتفاق المتوصلإليه بين المغرب والدولة العثمانية لم يطمئن تماما السلطان أحمد المنصور.

- قابل المنصور الميل إلى التفاهم مع الإسبان على التعاون ضد العثمانيين في الجزائر والتفاوض معهم بشأن ميناء العرائش، جعلت العلاقات تميل إلى نوع من السلام والقلق بعض الوقت.

- إن العلاقات بين المغرب والجزائر الدولة العثمانية لم تمل نحو السلام الراسخ ، إلا بعد تأكيد السلطان العثماني رغبته في السلام والصلح مع المغرب سنة 1588،واضطراره لقبول الأمر الواقع في المغرب أي باستقلال السلطان أحمد المنصور فيه استقلالا تاما ، لا سلطة عليه وهو ما قبله المنصور بالتراجع عن التحالف مع الإسبان ضد العثمانيين وعن تسليمهم العرائش.

- إن العلاقات بين الجزائر والمغرب حتى بعد أن مالت إلى السلام الراسخ بعد سنة 1588م لم ترق إلى التعاون الفعال والتلاحم بينهما وذلك لانعدام الثقة الكاملة بينهما ، فالمنصور ظل ينظر إلى أن الجزائر بلد العدو.

Le résumé:

- Les relations entre l'Algérie et le Maroc après l'accord de 1582 après JC danslequell'Empire ottoman reconnut Mansour commeautoritésur le Maroc et accepta le fait accompli‹ ne se dirigèrent pas versunepaixsolide‹ un accord total et unecoopérationefficace‹commeprévu‹ car l'accordconclu entre le Maroc et l'Etat ottoman n'était pas complètementrassuré. Sultan Ahmed Al-Mansour. -

- Al-Mansur a rencontré la tendance à s'entendre avec les Espagnols pour coopérercontre les Ottomans en Algérie et négocier avec euxconcernant le port de Larache‹ce qui a fait des relations unesorte de paix et d'angoisse pendant un certain temps.

- Les relations entre le Maroc et l'Algérie‹l'Empire ottoman‹n'ont pas tenduversunepaixferme‹jusqu'àceque le sultan ottoman aitconfirmé son désir de paix et de réconciliation avec le Maroc en 1588‹ et son obligation d'accepter le statu quo au Maroc‹c'est-à-dire l'indépendance du sultan Ahmed al-Mansur danslaquelleilétaitcomplètementindépendant‹ sans autoritésurlui‹ce qui a étéaccepté par Al-Mansour En se retirant de l'alliance avec les Espagnolscontre les Ottomans et en les livrant à Larache. Les relations entre l'Algérie et le Maroc‹même après avoireutendance à unepaixferme après l'an 1588 après JC‹ ne se sont pas traduites par unecoopération et unecohésion effectives entre eux‹ et celaen raison du manque total de confiance entre eux.

-AL-Mansour a continué à voirquel'Algérieest le pays ennemi.